

حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك



تأليف

أ.د/ محمود حمدي زقزوق

عضو هيئة كبار العلماء

(١٣٥٢ - ١٤٤١هـ / ١٩٣٣ - ٢٠٢٠م)

إعداد

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

إشراف

أ.د/ عباس شومان

الأمين العام لهيئة كبار العلماء

الطبعة الأولى
لهيئة كبار العلماء
١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م



هيئة كبار العلماء





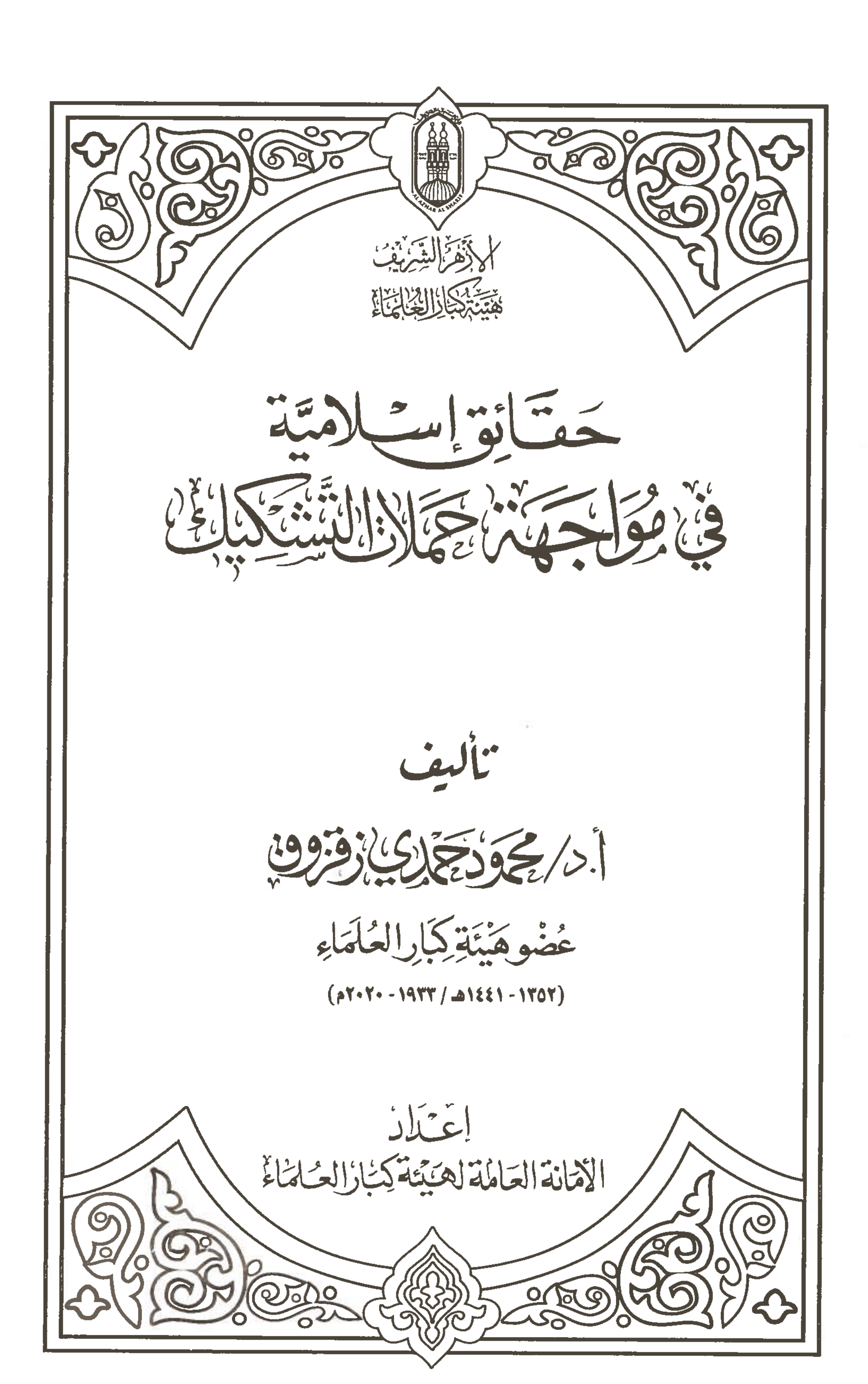






حقائق إسلامية
في مواجهة
حملات التشكيك


بسم الله الرحمن الرحيم



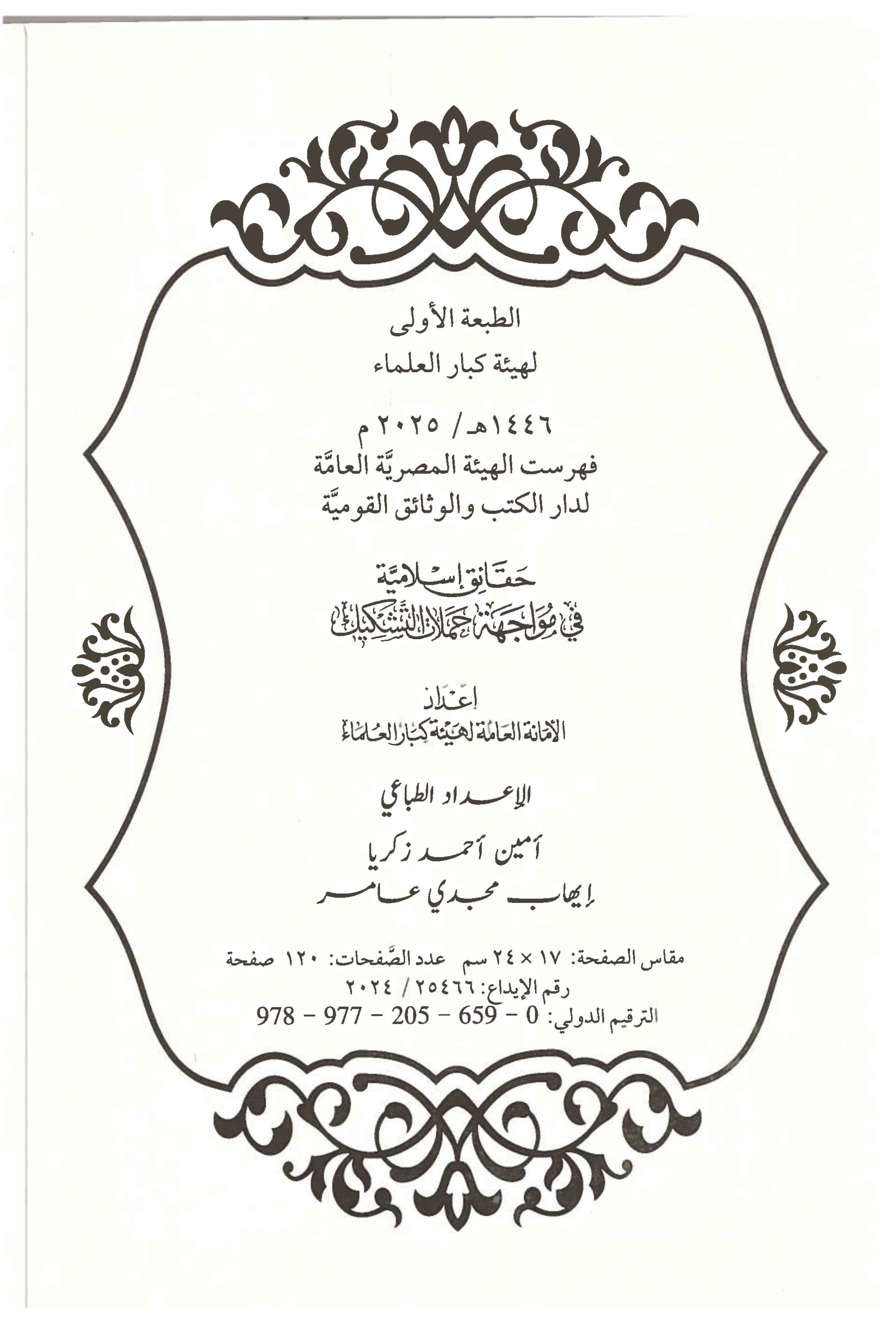
الأزهر الشريف
هيئة كبار العلماء

حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك

تأليف

أ.د/ محمود حمدي زقزوق
عضو هيئة كبار العلماء
(١٣٥٢ - ١٤٤١هـ / ١٩٣٣ - ٢٠٢٠م)

إعداد
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء



الطبعة الأولى

لهيئة كبار العلماء

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

فهرست الهيئة المصريَّة العامَّة

لدار الكتب والوثائق القوميَّة

حقائق إسلامية

في مواجهة حملات التشكيك

إعداد

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الإعداد الطباعي

أمين أحمد زكريا

إيهاب مجدي عامر

مقاس الصفحة: ١٧ × ٢٤ سم عدد الصَّفحات: ١٢٠ صفحة

رقم الإيداع: ٢٥٤٦٦ / ٢٠٢٤

الترقيم الدولي: 0 - 659 - 205 - 977 - 978

مقدمة

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء



الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد ...

فإنَّ قضية التشكيك في ثوابت الإسلام قضية قديمة، نشأت مع ظهور الإسلام، واتخذت أشكالًا متعددة: فتارة يكون التشكيك في شخصية سيدنا محمد ﷺ، واتهامه بالسحر، والكهانة، والشعر، وتارة يكون التشكيك في القرآن الكريم أو في السنة النبويَّة.

وقد حكى القرآن الكريم هذه الافتراءات، وردَّ عليها في مواطن كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[الفرقان:٥-٩].

وما أشبه الليلة بالبارحة، فالمنافقون هم المنافقون، والكفار هم الكفار، ولا زالت شبههم تترى حول الإسلام؛ عقيدة وشريعة

وأخلاقًا، وكلُّها شبه قديمة؛ روَّجوها إضعافًا للإسلام، وصرفًا للناس عن التمسك به، والدخول فيه، وما زادت شبههم الإسلامَ إلا قوة وصلابة وانتشارًا.

وقد قيض الله للإسلام رجالًا، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأقلامًا حرة، لا تخشى في الله لومة لائم، وعلماء استوعبوا الإسلام؛ عقيدة، وشريعة، وأخلاقًا، وتشَّربت نفوسهم تعاليمه، وأحكامه؛ فسخَّروا أقلامهم، وأنفقوا أوقاتهم، وجنَّدوا أنفسهم؛ للدفاع عنه، والدعوة إليه، وتفنيد الشبه المثارة حوله، وبيان حقيقته وسماحته.

وكان من هؤلاء الرجال فضيلة الأستاذ الدكتور الفيلسوف/ محمود حمدي زقزوق، عضو هيئة كبار العلماء، وقد جاء كتابه «**حقائق إسلاميَّة في مواجهة حملات التشكيك**» ترياقًا لوساوس المشككين في الإسلام، وقد تضمن كتابه سبعة فصول، ابتدأها المؤلف بتفنيد الشبهات حول القرآن الكريم، واختتمها بالحديث عن شبهات حول بعض تعاليم الإسلام.

وكان منهجه في الرد يجمع بين المنقول والمعقول، مع بيان فساد الشبهة، وضحالة أدلَّتها؛ ونظرًا لسعة معرفة الدكتور/ زقزوق، وتعدد ثقافاته، وإتقانه للغات عدة، استطاع فضيلته الإلمام بأقوال المستشرقين، والاحتجاج بها، أو الاعتراض عليها، وقد اتضح من دراسة الكتاب أنَّ جلَّ مثيري الشبه اليوم في الفضائيَّات إنما هم أبواق، تنعِق بما كتبه المستشرقون، ولا جديد لديهم يُذكر.

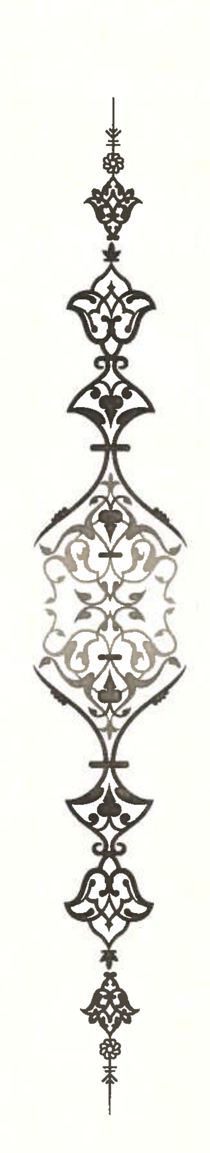
وقد رأت أمانة هيئة كبار العلماء طبع هذا الكتاب؛ تحصينًا لعقول شبابنا، وبيانًا لصحيح الدين، وتأكيدًا أنَّ ما يُثار اليوم ليس جديدًا، وأنَّ المتشدِّقين بالشبهات على الفضائيَّات وغيرها، إنما هم مردِّدون لكلام المستشرقين.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل

الأمين العام لهيئة كبار العلماء
أ.د/ عباس شومان

هيئة كبار العلماء في: ١٠ من صفر عام ١٤٤٦هـ
١٤ من أغسطس عام ٢٠٢٤م





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

قصة الصراع بين الحقِّ والباطل والخير والشر قصة قديمة، بدأت فصولها مع بداية الإنسان على الأرض، وسوف تتواصل فصولها طالما كان هناك إنسان في هذا الوجود، والإسلام منذ ظهوره يخوض معارك متواصلة ضد الباطل الذي يبذل كلَّ ما يستطيع من أسلحة؛ لطمس معالم الحقِّ الذي جاء به الإسلام، ومن المفارقات الغريبة أنَّ الإسلام -وهو الدين الذي ختم الله به الرسالات، وكان آخر حلقة في سلسلة اتصال السماء بالأرض- قد تعرض منذ اللحظات الأولى لظهوره -ولا يزال حتى اليوم- للهجوم وإثارة الشبهات حوله، والتشكيك في عقائده وتعاليمه.

ووجه الغرابة في ذلك يتمثل في أنَّ الإسلام -في الوقت الذي جاء فيه يعلن للناس الكلمة الأخيرة لدين الله على الأرض- لم ينكر أيًّا من أنبياء الله السابقين، ولا ما أُنزل عليهم من كتب سماويَّة، ولم يُجْبِرْ أحدًا من أتباع الديانات السماويَّة السابقة على اعتناق الإسلام، ولم يقتصر الأمر على عدم الإنكار، وإنما جعل الإسلام الإيمان بأنبياء الله جميعًا، وما أُنزل عليهم من كتب عنصرًا أساسيًّا من عقيدة كلِّ مسلم؛ بحيث لا تصحُّ هذه العقيدة

دونه، ومن شأن هذا الموقف المتسامح للإسلام إزاء الديانات السابقة أن يُقَابَل بتسامح مماثل، وأن يقلِّل من عدد المناهضين للإسلام.

ولكن الذي حدث كان على العكس من ذلك تمامًا، فقد وجدنا الإسلام -على مدى تاريخه- يتعرَّض لحملات ضارية من كلِّ اتجاه، وليس هناك في عالم اليوم دين من الأديان يتعرَّض لمثل ما يتعرَّض له الإسلام في الإعلام الدولي من ظلم فادح، وافتراءات كاذبة.

وهذا يبيِّن لنا أنَّ هناك جهلًا فاضحًا بالإسلام، وسوء فهم لتعاليمه، سواء كان ذلك بوعي أم بغير وعي، وأنَّ هناك خلطًا واضحًا بين الإسلام كدين وبعض التصرفات الحمقاء، التي تصدر من بعض أبناء المسلمين باسم الدين، وهو منها براء.

ومواجهة ذلك تكون ببذل جهود علميَّة مضاعفة؛ من أجل توضيح الصورة الحقيقيَّة للإسلام، ونشر ذلك على أوسع نطاق.

والواقع يبيِّن لنا أنَّ الشبهات التي تثار ضد الإسلام منذ ظهر وحتى اليوم شبهات مكررة، ولا تختلف مع بعضها إلَّا في الصياغة، أو محاولة إعطائها صِبْغة علميَّة، وقد نهض مفكرو الإسلام -في فترات مختلفة- بالقيام بواجبهم في الردِّ على هذه الشبهات، كلٌّ بطريقته الخاصة، وبأسلوبه الذي يعتقد أنَّه السبيل الأقوم للرد.

ونحن لا نقلِّل من جهود مَنْ سبقونا في هذا المجال، ولا ندعي أننا أتينا بما لم يأتِ به الأوائل في هذا الصدد، ولكننا أردنا بهذا الكتاب أن

نعطي ردًّا مركَّزًا على كلِّ شبهة من هذه الشبهات المثارة، التي تتردد في عصرنا بشكل أو بآخر، وبخاصة في عصر ثورة المعلومات والاتصالات والاستخدام المتزايد لشبكة الاتصالات الدوليَّة «الإنترنت».

وقد صدر من هذا الكتاب في السنوات الأخيرة عدة طبعات عن طريق المجلس الأعلى للشئون الإسلاميَّة، وتعميمًا للفائدة تم ترجمة الكتاب إلى اللغات: الإنجليزيَّة، والفرنسيَّة، والألمانيَّة، والروسيَّة، والقازاقيَّة والتايلانديَّة، كما تم بثُّه على الموقع الخاص بالمجلس الأعلى للشئون الإسلاميَّة على شبكة «الإنترنت».

ونأمل أن يسهم هذا الكتاب -على صغر حجمه- في توضيح الصورة الحقيقيَّة للإسلام، وإزالة بعض ما عَلِقَ بالأذهان من سوء فهم لتعاليمه وعقائده.

أ.د/ محمود حمدي زقزوق







الفصل الأول

القرآن الكريم



القرآن الكريم

أولًا: هل القرآن وحي إلهي، أم تأليف بشري؟

١- القرآن الكريم هو كتاب الإسلام الأول، الذي تقوم على أساسه عقائد الدين الإسلامي وشريعته، وتنبثق منه أخلاق الإسلام وآدابه، فإذا ثبت أنَّه: وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فإنَّ الإيمان به يصبح أمرًا لا مفرَّ منه.

ومن أجل ذلك اتجهت جهود المناهضين للإسلام قديمًا وحديثًا إلى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن وفي مصدره، وقد بذل الوثنيُّون المكيُّون جهدهم في مقاومة الحقيقة المتمثلة في أنَّ القرآن وحيٌ من عند الله؛ فزعموا أنَّه ﴿إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان:٤]، وأنَّه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان:٥]، وأنَّ محمدًا ﴿يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣]، أو أنَّ القرآن قول ساحر أو كاهن، وكانوا يهدفون من وراء ذلك كلِّه إلى إبطال القول بأنَّه وحي السماء إلى محمد؛ لهداية البشر.

وقد حذا عدد من المستشرقين المتحاملين على الإسلام في موقفهم من القرآن حذو مشركي مكة، وبذلوا محاولات مستميتة؛ لبيان أنَّ القرآن ليس وحيًا من عند الله، وإنَّما هو من تأليف محمد ﷺ، ورددوا

أحيانًا الاعتراضات التي قال بها الوثنيُّون قديمًا، على الرغم من دحض القرآن لها.

من الثابت تاريخيًّا أنَّ محمدًا كان أميًّا، لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك عيَّن عددًا من أصحابه لكتابة ما ينزل عليه من وحي قرآنيٍّ، ولو كان يستطيع القراءة والكتابة لما كان في حاجة إلى الاستعانة بأحد؛ لكتابة آيات القرآن، فكيف يستطيع أميٌّ أن يطَّلع على كتب الديانات الأخرى؟ وكيف ومتى حدث ذلك؟ إنَّ هذه مجرد دعاوى، لا يقوم عليها دليل، ولا سند لها من الواقع.

٢-لقد ظلَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يدعو إلى الإسلام في مكة حوالي ثلاثة عشر عامًا، ولم يثبت تاريخيًّا أنَّه كانت له صِلات باليهود على الإطلاق، أمَّا صِلاته بالمسيحيَّة فإنَّ القائلين بذلك يضخِّمون في هذا الصدد قصة لقائه براهب مسيحي، يدعى «بَحيرى» في طريق القوافل إلى الشام، عندما كان محمد في صحبة عمِّه أبي طالب في تجارته إلى الشام، وكان عمره حينذاك تسع سنوات أو اثنتي عشرة سنة؛ فكيف لصبي صغير أن يستوعب ديانة بكاملها في لقاء عابر، لم يستمر إلا لدقائق؟ وما الذي يدفع بحيرى لاختيار هذا الصبي الصغير بالذات من بين كلِّ القافلة؛ لتعليمه الدين المسيحي؟ ولماذا انتظر محمد ثلاثين عامًا بعد هذا اللقاء لإعلان دعوته؟

إنَّ هذه قصة غير معقولة، ولا مقبولة، وهذا ما دعا أحد المستشرقين لرفضها تمامًا؛ بوصفها قصة مختلقة من أساسها، فقد قال المستشرق

هوارت (Huart): «ولا تسمح النصوص العربيَّة التي عُثِرَ عليها ونُشرت وبُحثت منذ ذلك الوقت بأن نرى في الدور المسند إلى هذا الراهب السوري إلا مجرد قصة من نسج الخيال»[1].

٣ -القرآن الكريم يتفق مع كلِّ الديانات السماويَّة السابقة في الإيمان بإله واحد خالق للكون، وأنَّ مردَّ الجميع إليه، ويرجع هذا الاتفاق إلى أن مصدر هذه الديانات جميعًا واحد، وهو الله، فلا يجوز أن يكون بينها تناقض في أصول الاعتقاد، ولكن القرآن الكريم قد عارض كثيرًا من المعتقدات الأخرى السائدة لدى أصحاب الديانتين اليهوديَّة والمسيحيَّة، فكيف يقال إذن: إنَّ محمدًا استعان بمصادر مسيحيَّة ويهوديَّة؟ ألم يكن من الأولى -إذا صحَّ ذلك- ألا يكون هناك أي اختلاف، -أو على الأقل- يكون اختلافًا هامشيًّا، ليس متصلًا بمعتقدات أساسيَّة؟

٤ -لقد اشتمل القرآن على حقائق علميَّة، لم يعرفها العلم إلَّا في العصر الحديث[2]، وعلى سبيل المثال ما أشار إليه القرآن من مراحل تطور الجنين في بطن أُمِّه، وحقائق أخرى حول: الأرض، والشمس، والكواكب، والرياح، والأمطار... إلخ، فمن أين أتى محمد بذلك؟ لا يستطيع أحدٌ أن يقول: إنَّه قد استعان في ذلك بمصادر مسيحيَّة أو يهوديَّة؛

---

(١) راجع: مدخل إلىٰ القرآن الكريم، للدكتور/ محمد عبد الله دراز ص ١٣٤ هامش (١)، دار القلم بالكويت، ١٩٧١م (وهذا الكتاب أحد رسالتين علميتين قدَّمهما المؤلِّف بالفرنسيَّة إلىٰ جامعة باريس، عام ١٩٤٧م).

(٢) راجع: موريس بوكاي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، ١٩٧٨م.

لأنَّها لا تشتمل على شيء من ذلك، فهل يُعقل أنَّه أتى بها من عند نفسه، وهو الأميُّ الذي لم يحصل على أي قدر من التعليم؟

إنَّ كلَّ الشواهد تدل على أنَّه وحيٌ إلهيٌّ، وأنَّ مصدر القرآن لا يمكن أن يكون مصدرًا بشريًّا.

ثانيًا: هل كان القرآن تلفيقًا من الديانات السابقة؟

١-لو كان القرآن بالفعل ملفَّقًا من الكتب الدينيَّة السابقة، فهل كان معاصرو محمد ومعارضوه من كلِّ الاتجاهات سيسكتون عن ذلك؟ لقد كانوا يتصيدون له التُّهم، فكيف غاب عنهم ذلك، ولم يكشفوا عنه؟ إنَّ كلَّ ما استطاع المعارضون أن يدَّعوه لم يخرج عن إطار التعميمات، التي لا تستند إلى أي أساس علمي، وقد أشار القرآن الكريم نفسه إلى هذه الدعاوى الباطلة، كما سبق أن أوردنا ذلك في الردِّ على الشبهة السابقة.

٢ -لقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من التشريعات والتعاليم، التي لا وجود لها في كتب الديانات السابقة، فضلًا عن إحاطته بتفصيلات أخبار الأمم السابقة، واشتماله على أمور غيبيَّة، تحقَّقت بالفعل كما أخبر بذلك القرآن، مثل مصير الصراع بين الروم والفرس، وهذه كلُّها أمور لم يكن يعرفها [سيدنا] محمد ﷺ، ولا قومه، ولا أصحاب الديانات السابقة.

٣-لقد دعا القرآن الكريم إلى العلم، واحترام العقل، واستخدامه، وعلى أساس من تعاليمه الجديدة استطاع المسلمون في فترة زمنيَّة قصيرة نسبيًّا أن يبنوا حضارة، حلَّت محل الحضارات السابقة عليها، واستمرت

قرونًا عديدة، فإذا كان القرآن [الكريم] قد أخذ من الديانات السابقة، فلماذا لم تشتمل هذه الديانات على هذه التعاليم، وتقوم بنفس الدور الذي قام به الإسلام؟

٤-القرآن الكريم كلُّه كتاب متسق في نظمه وأسلوبه وتعاليمه، فلو كان ملفَّقًا من كتب سابقة لكان متناقضًا ومفكَّكًا وغير محكم؛ نظرًا لاختلاف المصادر، وفضلًا عن ذلك فالقرآن الكريم يخاطب العقل دائمًا، ويخلو من الأساطير والخرافات، ويعتمد الدليل والبرهان، ويطالب خصومه بذلك قائلًا: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١١١]، [الأنبياء: ٢٤]، [النمل: ٦٤]، [القصص: ٧٥].

وهذا النهج يعد نهجًا جديدًا غير مسبوق، وبالتالي فإنَّه لا يمكن أن يكون مستعارًا من ديانات سابقة.

٥-أمَّا بالنسبة للثقافة الجاهليَّة -التي قيل أيضًا: إنَّ القرآن قد اعتمد عليها- فإنَّ الثابت أنَّ الإسلام قد رفض عقائد الجاهليَّة الباطلة، وعاداتها السيئة، وتقاليدها البالية، وأحلَّ محلَّها عقائد صحيحة، وعادات حسنة، وتقاليد مقبولة، فما الثقافة الجاهليَّة إذن التي أخذها الإسلام من الجاهليَّة؟

ثالثا: هل صحيح أنَّ القرآن الكريم لم يأتِ بجديد؟

بالإضافة إلى ما سبق في الردِّ على الدعوى السابقة يمكن الإشارة إلى ما يأتي:

١ -لقد اشتمل القرآن الكريم على أخبار لم يكن يعرفها أهل الكتاب؛ فقد ذكر القرآن مثلًا بالتفصيل قصة زكريا، وولادة مريم، وكفالته لها، وأورد الكثير عن مريم، وخصص لها سورة بكاملها في القرآن الكريم مما ليس له نظير في العهد الجديد، فمن أين استقى محمد ﷺ هذه المعلومات إذن؟

٢ -جاء في سفر الخروج أنَّ ابنة فرعون هي التي تبنَّت موسى، في حين قرَّر القرآن أنَّ امرأة فرعون هي التي تبنَّته، وفي هذا السفر أيضًا نسبة صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل إلى هارون، في حين نسب القرآن ذلك إلى السامري، وذكر إنكار هارون ذلك عليهم.

٣ -إذا كان القرآن قد اقتبس من الإنجيل؛ فلماذا لم يأخذ بنظريَّة التثليث المسيحيَّة التي تُعَدُّ الأساس الراسخ في العقيدة المسيحيَّة؟ ولماذا لم يأخذ بعقيدة الصلب والفداء والخطيئة الموروثة وألوهيَّة المسيح[1]؟

٤ -لقد جعل القرآن الكريم من أنبياء الله نماذج أخلاقيَّة عليا، بينما ينسب العهد القديم إلى بعضهم ارتكاب الفواحش، وهذا لا يتفق مع مكانة الأنبياء في التصور الإسلامي، راجع مثلًا قصة سيدنا لوط مع ابنتيه في العهد القديم.

٥ -العبادات في الإسلام، التي جاء بها القرآن من: صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وتفاصيل هذه الشعائر، وطريقة أدائها من الأمور التي لا نظير لها في الديانات السابقة؛ فالصلوات الخمس التي تؤدى بطريقة

(١) راجع كتابنا: الإسلام في مرآة الفكر الغربي، ص ٧٦، ٧٧، ٨٥، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.

مخصوصة وفي أوقات معينة، وبصيغ محددة، والصيام في شهر رمضان من كلِّ عام بالامتناع التام عن الطعام والشراب وجميع الشهوات من الفجر إلى غروب الشمس، والزكاة وطريقة أدائها، ومصارفها، وأنواع الزكاة، والحج وما يشتمل عليه من: طواف، ووقوف بعرفة، وسعي بين الصفا والمروة، ورمي للجمار ... إلخ، أمور لا يشتمل عليها أي دين بالكيفيَّة التي أتى بها الإسلام، وإذا كانت مقتبسة من أي دين فأين هو هذا الدين الذي جاء بمثل ذلك؟

رابعًا: هل شاب جمع القرآن ما يشكِّك في صحة النصِّ القرآني؟

١ -لقد كان هناك كُتَّاب معروفون، اختارهم النبي ﷺ من بين صحابته يكتبون ما يمليه عليهم من الوحي القرآني فور نزوله، وكانوا يكتبون على أي شيء يجدونه ميسورًا لهم، مثل: الورق، أو الخشب، أو قطع الجلد، أو صفائح الحجارة، أو العظام، وعدد كتاب الوحي -كما جاء في المصادر الإسلاميَّة- **تسعة وعشرون كاتبًا**، أشهرهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعهم: معاوية، والزبير بن العوام، وسعيد ابن العاص، وعمرو بن العاص، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت.

٢-وبالإضافة إلى تدوين الوحي كان هناك طريق آخر موازٍ للتدوين، هو حفظ القرآن عن ظهر قلب، وقد استمرت هذه العادة حتى يومنا هذا، وقد بلغ عدد حفظة القرآن في حياة الرسول مئات من الصحابة، ممن تخصصوا في تلاوة القرآن وفي حفظه عن ظهر قلب، وقد أخبر الرسول أنَّه كان يقوم بمراجعة عامَّة للقرآن في حضور جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في شهر رمضان من كلِّ

عام، وأنَّه في العام الأخير راجع عليه جبريل القرآن مرتين، وبذلك أخذ القرآن شكله النهائي في صدور الحفاظ قرب نهاية حياة الرسول، كما أنَّ الكتَّاب كانوا يضعون كلَّ آية في موضعها بتوجيهات من النبي ﷺ.

٣-بعد وفاة الرسول ﷺ بعام قُتِل سبعون من حفظة القرآن في معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب، وعلى أثر ذلك عهد الخليفة أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -بناء على اقتراح من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إلى زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهو أحد كتَّاب الوحي- بمهمة جمع وثائق القرآن المختلفة في مجموعة مدونة سهلة الاستعمال، وتم وضع قاعدة للعمل، على أساسها لم يكن يعتمد أي مخطوط إلا إذا شهد شخصان على أنَّه مكتوب بإملاء الرسول ﷺ، وبطبيعة الحال تم الاستعانة بحفظة القرآن من الصحابة، وبعد أن انتهى زيد من مهمته سلم النسخة الكاملة إلى أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي عهد بها قبل موته إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسلَّمها عمر قبل موته إلى ابنته حفصة أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٤-في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شكَّل لجنة من أربعة نُسَّاخ، منهم زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه، وقامت اللجنة بنسخ خمس نسخ من القرآن، أرسلت إلى: مكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، ودمشق، وقد اعتمدت اللجنة في عملها على النسخة التي كانت محفوظة لدى السيدة حفصة أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وراجعت اللجنة عملها على ما يحفظه الحفاظ من القرآن الكريم منذ عهد النبي ﷺ، وهذا هو المصحف المتداول الآن في كلِّ مكان في العالم الإسلامي لدى جميع الفرق الإسلاميَّة، ولم يختلف عليه أحد من المسلمين

حتى الآن بعد مرور أربعة عشر قرنًا من الزمان، وقد أكَّد هذه الحقيقة عدد من المستشرقين منهم لوبلوا (Leblois)، وموير (Muir)، والمستشرق الألماني المعاصر رودي بارت (Rudi Paret)، الذي يقول في مقدِّمة ترجمته للقرآن: «ليس لدينا أي سبب يحملنا على الاعتقاد بأنَّ هناك أي آية في القرآن كلِّه لم ترد عن محمد ﷺ» ويريد بذلك أن يقول بأنَّه لا مجال للقول بأنَّ أحدًا بعد محمد تدخل في نصِّ القرآن بالحذف أو الإضافة ... إلخ[1].

لم يثبت أنَّه كانت هناك نسخ مخالفة للنسخة التي تمَّ نسخها في خلافة عثمان بن عفان، ولو كان لدى بعض الصحابة نسخ أخرى لأظهروها، وعارضوا بها النسخة المعتمدة، وهذا أمر لم يحدث على مدى تاريخ المسلمين، وحتى بعض الفرق التي يعتبرها المسلمون منشقة عن الإسلام، مثل الأحمديَّة المعاصرة تجدها تحتفظ بالنصِّ القرآني نفسه المعروف لدى بقيَّة المسلمين دون زيادة أو نقصان.

٥ -أمَّا ما أشيع عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهو صحابي جليل- أنَّه كان يرى أنَّ سورة الفاتحة والمعوذتين ليست من القرآن، فإنَّه لم يَثْبُتْ إطلاقًا أنَّه قال بذلك. وقد أجمع علماء المسلمين الثِّقات على: تبرئة ابن مسعود من هذا الزعم الباطل[2]، ومن بين مَنْ قام بالردِّ على هذا الادعاء

(١) يراجع في ذلك: مدخل إلىٰ القرآن الكريم للدكتور/ محمد عبد الله دراز، ص ٣٤ وما بعدها، راجع أيضًا:

Rudi Paret: Der Koran. Übersetzung. Stuttgart 1980, P.5.

(٢) بل ورد ذلك في بعض النصوص، وقد تأول العلماء ذلك قال العلامة رَحِمَهُ اللَّهُ: يحتمل أن إنكار ابن مسعود لقرآنية المعوذتين والفاتحة علىٰ فرض صحته كان قبل علمه بذلك، فلما تبين له قرآنيتهما بعد تم التواتر وانعقد الإجماع علىٰ قرآنيتهما كان في مقدمة من آمن بأنهما =

وتفنيده كلٌّ من: الإمام فخر الدين الرازي، والقاضي أبي بكر، والإمام النووي، والإمام ابن حزم، والإمام الباقلاني، وغيرهم، ولم يذكر لنا التاريخ أنَّ أحدًا من المسلمين قد تبنى هذا الرأي الباطل المنسوب كذبًا إلى ابن مسعود(١).



=من القرآن، قال بعضهم: يحتمل أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبي ﷺ، ولم تتواترا عنده فتوقف في أمرهما، وإنما لم ينكر ذلك عليه لأنه كان بصدد البحث والنظر، والواجب عليه التثبت في هذا الأمر، ولعل هذا الجواب هو الذي تستريح إليه النفس؛ لأن قراءة عاصم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبت فيها المعوذتان والفاتحة، وهي صحيحة، ونقلها عن ابن مسعود صحيح، وكذلك إنكار ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمعوذتين جاء من طريق صححه ابن حجر؛ إذا فليحمل هذا الإنكار على أولى حالات ابن مسعود جمعًا بين الروايتين.» مناهل العرفان للزرقاني: (١/ ٢٧٦) (اللجنة).

(١) راجع كتابنا: الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاري -ص ٩٧ وما بعدها دار المعارف-١٩٩٧م.



الفصل الثاني

النبي محمد ﷺ



النبي محمد ﷺ

أولًا: هل جاء محمد ﷺ بالإسلام للعرب، أم لكلِّ البشر؟

١-عندما أعلن سيدنا محمد ﷺ دعوته على الناس -في أول إعلان له على الإطلاق- قال لهم: «إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة»(١)، وهذا يعني أنَّه دين جاء لكلِّ البشريَّة منذ أول لحظة، فالإسلام لم يقدمه النبي ﷺ في وقت من الأوقات على أنَّه دين عربي، ولكن بوصفه دينًا عالميًّا لكلِّ البشر، ويؤكِّد ذلك في حديث آخر حيث يقول: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»(٢).

٢-المتتبع لآيات القرآن الكريم يستطيع أن يتبيَّن بوضوح أنَّ القرآن يدعو الناس -كلَّ الناس- إلى دين الله، وهذه الصفة العالميَّة واضحة كالشمس في آياته العديدة التي نزلت في مكة قبل الهجرة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، والسورة التي يفتتح بها القرآن وهي سورة الفاتحة تبدأ بقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، وهي سورة نزلت في مكة قبل الهجرة النبويَّة، وقبل أن يكون للمسلمين دولة في المدينة.

(١) ذكره الصالحي (ت٩٤٢هـ) في «سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد» (٢/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»: ١/ ٩٥، حديث رقم(٤٣٨)، ونصُّه: « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ».

٣-ومما سبق يتضح لنا أنَّه لم يكن هناك تغيير في خطط النبي ﷺ، ولكن كان هناك تدرج في التشريع، وهذا أمر منطقي وطبيعي، فلم يكن من المعقول أو الممكن إلغاء كلِّ شيء، درج عليه الناس بين عشية وضحاها؛ فالعادات المتأصلة في النفوس يكون من الصعب محوها بسهولة، وقد ركز الإسلام في البداية على ترسيخ العقيدة في النفوس، وتثبيتها في العقول؛ لتكون الأساس الذي يبني عليه تشريعاته، والقاعدة التي على أساسها يمكن تغيير ما درج عليه الناس، وقد سلك الإسلام هذا المسلك في العديد من التشريعات، مثل: التدرج في تحريم الخمر، والربا، وإلغاء الرق ... إلخ، وقد كانت الفترة المكيَّة هي فترة تثبيت العقيدة، ومن هنا كان من السهل البناء عليها في الفترة المدنيَّة.

ثانيًا: ما أسباب تعدد زوجات النبي ﷺ؟

١ -لقد تزوج النبي ﷺ السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [(١)] وعمره خمسة وعشرون عامًا، أمَّا خديجة فقد كانت سنُّها تقترب من الأربعين، وكانت

(١) هي السيدة: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي القرشيَّة الأسديَّة أمُّ المؤمنين زوج النبي ﷺ، أول امرأة تزوجَّها، وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة، وكانت تدعىٰ في الجاهليَّة الطاهرة، وأمُّها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، واسمه جندب بن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، وكانت خديجة قبل أن ينكحها رسول الله ﷺ تحت عتيق بن عابد بن عبد الله، فولدت له هند بنت عتيق، ثم خلف عليها بعد عتيق أبو هالة مالك بن النباش بن زرارة التميمي الأسدي، حليف بني عبد الدار بن قصي، فولدت له هند بن أبي هالة، وهالة بن أبي هالة، فهند بنت عتيق، وهند وهالة ابنا أبي هالة كلهم إخوة أولاد رسول الله ﷺ من خديجة، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين، [ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلميَّة، الطبعة: الأولىٰ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ٧/ ٨٠].

قد تزوجت قبله مرتين، وظلت له زوجة وحيدة إلى أن ماتت بعد أن أمضى معها حوالي ثمانية وعشرين عامًا، وظل وفيًّا لذكراها طوال حياته لدرجة سببت الغيرة في نفوس بعض زوجاته فيما بعد.

٢ -حياة النبي ﷺ، وما هو معروف من سيرته طوال حياته قبل وبعد البعثة، ينفي نفيًا قاطعًا أنَّه كان رجلًا شهوانيًّا، وكيف لرجل تخطى الخمسين من عمره أن ينقلب فجأة إلى عبد للذة الجنسيَّة، وقد كانت أمامه في شبابه الفرص الكثيرة للاستمتاع إذا أراد مثل أقرانه من الشباب، ولكنه كان عفيفًا طاهرًا، ولم يكن من بين زوجاته عذراء إلا عائشة، ومعظمهن كنَّ أرامل، وقد كان زواجه منهن جميعًا لأهداف نبيلة إنسانيَّة أو تشريعيَّة، ولم يكن من بينها هدف الشهوة أو النهم الجنسي على الإطلاق[١].

٣-بعد أن تخطى الخمسين من عمره تزوج سودة بنت زمعة[٢]، أرملة أحد صحابته، ولم يُعرف عنها أنها كانت ذات جمال أو ثروة أو مكانة، ولكنه تزوجها من باب الرعاية لأسر صحابته، الذين تحملوا التعذيب

(١) راجع كتابنا: الإسلام في مرآة الفكر الغربي، ص ٣١/ ٤٢.

(٢) هي أمُّ المؤمنين السيدة: سودة بنت زمعة بْن قيس بْن عَبْد شمس بْن عبد ود بْن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشية العامرية. وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خداش بْن عامر بْن غنم بْن عدي بن النجار الأنصارية، وسودة هي زوج النبي ﷺ، تزوجها رَسُول اللهِ ﷺ بمكة بعد وفاة خديجة، وروىٰ يونس عن الزهري أنه ﷺ تزوجها بعد عائشة، ولكنه دخل بها قبل عائشة. وكانت قبله تحت ابن عمها السكران بن عمرو، أخي سهيل بْن عمرو، وكان مسلمًا فتوفي عنها، فتزوجها رَسُول اللهِ ﷺ، وكانت امرأة ثقيلة ثبطة، وأَسنَّتْ عند رسول الله ﷺ ولم تصب منه ولدا إلىٰ أن مات. وروىٰ محمد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم: وكان أول امرأة تزوجها بعد خديجة بنت خويلد سودة بنت زمعة. وتوفيت سودة آخر خلافة عمر. [ينظر: أسد الغابة: ج٦/ ١٥٧-١٥٨ بتصرف]

والتشريد في سبيل الدعوة، أما زواجه فيما بعد من عائشة وحفصة فلم يكن إلا تأكيدًا للرابطة القوية بينه وبين صاحبيه: أبي بكر، وعمر.

٤-أما السيدة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(١) فقد مات زوجها متأثرًا بجراحه في غزوة أحد وكانت مسنة، ولما أراد النبي الزواج منها اعتذرت له نظرًا؛ لكبر سنها، ولكنه طيب خاطرها وتزوجها لهدف إنساني.

أمَّا السيدة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٢) فكانت قد هاجرت مع زوجها

---

(١) هي أمُّ المؤمنين السيدة: أمُّ سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشيَّة المخزوميَّة، زوج النبي ﷺ واسمها: هند، وكان أبوها يُعرف بزاد الركب، وكانت قبل النبي ﷺ عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، فولدت له: سلمة، وعمر، ودرة، وزينب، وتوفي، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده، وكانت من المهاجرات إلىٰ الحبشة وإلىٰ المدينة، وبعد وفاة زوجها أبي سلمة وانتهاء عدتها بعث إليها رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب يخطبها عليه، فقالت: أخبر رسول الله ﷺ أني امرأة غيرىٰ، وأني امرأة مُصْبِيَة، وليس أحد من أوليائي شاهد، فأتىٰ رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «ارجع إليها فقل لها: أمَّا قولك إني امرأة غيرىٰ، فسأدعو الله فيذهب غيرتك، وأمَّا قولك إني امرأة مُصْبِيَة، فستكفين صبيانك، وأمَّا قولك ليس أحد من أوليائي شاهد، فليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك»، فقالت لابنها عمر: قم فزوِّج رسول الله ﷺ، فزوجه.[ينظر: أسد الغابة ٧/ ٣٢٩ بتصرف].

(٢) هي أمُّ المؤمنين السيدة: أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، القرشيَّة الأمويَّة زوج النبي ﷺ، كنيت بابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش، واسمها رملة، وهاجرت إلىٰ الحبشة مع زوجها عبيد الله، فولدت هناك حبيبة، فتنصر عبيد الله، ومات بالحبشة نصرانيًا، وبقيت أمُّ حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، فكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَىٰ الإِسْلامِ، وَبَعَثَ بِهِ مَعَ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ. فَلَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ أَسْلَمَ، وَقَالَ: لَوْ قَدَرْتُ أَنْ آتِيَهُ لأَتَيْتُهُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَزَوَّجَهُ النَّجَاشِيُّ إِيَّاهَا، وَأَصْدَقَ عَنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، وَكَانَ الَّذِي وَلِيَ تَزْوِيجَهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وتوفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين.[ينظر: الطبقات الكبرىٰ ٨/ ٧٩، وأسد الغابة ٧/ ٣٠٣ بتصرف].

إلى الحبشة فتنصَّر زوجها، وتركها دون عائل، فأرسل النبي إلى النجاشي يطلبها؛ إنقاذًا لها من غربتها، وإنقاذًا لها من أهلها في مكة إذا عادت إليهم بعد أن كانت قد هجرتهم في سبيل دينها، وأملًا في أن يكون الزواج منها سببًا في استمالة والدها -صاحب النفوذ في مكة آنذاك- إلى الدخول في الإسلام.

أمَّا السيدة جويريَّة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1] فقد كانت من بين السبايا في غزوة بني المصطلق، وكان أبوها سيد قومه، فأكرمها النبي بالزواج منها، وأعتقها، وطلب من المسلمين أن يعتقوا سباياهم، ففعلوا.

والسيدة صفيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[2] بنت سيد بني قريظة، تزوجها النبي ﷺ بعد

(١) هي أمُّ المؤمنين السيدة: جويريَّة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك ابن جذيمة، وهو المصطلق بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو، وعمرو هو أبو خزاعة كلها، الخزاعيَّة المصطلقيَّة، سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، سنة خمس من الهجرة، وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقي، فوقعت في سهم ثابت بن قيس ابن شمَّاس أو ابن عم له، فكاتبته علىٰ نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: «فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها، وقلت: يرىٰ منها ما قد رأيت»! فلمَّا دخلت علىٰ رسول الله ﷺ قالت: «يا رسول الله، أنا جويريَّة بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، وقد كاتبت علىٰ نفسي، فأعني علىٰ كتابتي، فقال رسول الله ﷺ: «أوخير من ذلك، أؤدي عنك كتابك وأتزوجك؟ فقالت: نعم»، ففعل رسول الله ﷺ، فبلغ الناس أنَّه قد تزوجها، وتُوُفِّيَتْ جُوَيْرِيَةُ سَنَةَ خَمْسِينَ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.[ينظر: الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: ٨/ ٩٢، وأسد الغابة: ٧/ ٥٧ بتصرف]

(٢) هي أمُّ المؤمنين السيدة: صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ بْنِ سَعْيَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُبَيْدِ بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل، من سبط هارون ابن عمران، تزوجَّها سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقها، فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، فقُتل عنها يوم خيبر، ولمَّا فتح النبي ﷺ خيبر، وجمع السبي، أخذها رسول الله ﷺ واصطفاها، وحجبها وأعتقها وتزوجها، وقسم لها، وكانت عاقلة من عقلاء النساء، وتوفيت سنة ست وثلاثين. [ينظر: أسد الغابة ٧/ ١٦٨ بتصرف].

أن أعطى لها حريَّة الاختيار بين أن يردها إلى أهلها أو يعتقها ويتزوجها، فاختارت البقاء عنده على العودة إلى أهلها[1].

٥-أمَّا زواجه من السيدة زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[2] -وقد كانت ابنة عمته- فقد كان لسبب تشريعي؛ فقد كانت زينب زوجة لزيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي كان النبي ﷺ قد تبنَّاه، ثم طُلِّقت من زيد، وكانت عادة العرب تقضي بأنَّ زوجة الابن بالتبني لا تحل من بعده لأبيه الذي تبناه، فتزوجها النبي ﷺ؛ ليلغي بذلك هذا المنع الذي لا مبرر له، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ أي: بعد طلاقها من زيد ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ثالثا: ما مدى اليقين في السُّنة النبويَّة؟

يشكِّك بعض علماء الإسلاميَّات في الغرب في صحة السُّنة النبويَّة، ويعتبرها جولدتسيهر (Goldzieher)[3] من اختراع المسلمين في العصور

(١) راجع: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للأستاذ/ عباس العقاد، ص١٩٢ وما بعدها. القاهرة ١٩٥٧م.

(٢) هي أمُّ المؤمنين السيدة: زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ، أخت عبد الله بن جحش، وهي أسديَّة من أسد بن خزيمة، وأمُّها أميمة بنت عبد المطلب، عمَّة النبي ﷺ، وتكنىٰ أم الحكم، وكانت قديمة الإسلام، ومن المهاجرات، وكانت قد تزوجها زيد بن حارثة، مولىٰ النبي ﷺ؛ تزوجها؛ ليعلمها كتاب الله وسنة رسوله، ثم إنَّ الله -تعالىٰ- زوَّجها النبي ﷺ من السماء، وأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾، [الأحزاب: ٣٧]، فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاثة من الهجرة، وتوفيت سنة عشرين، ودفنت بالبقيع .[ينظر: أسد الغابة ٧/ ١٢٦ بتصرف].

(٣) جولد تسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١) (Goldzieher)، مستشرق يهودي مَجري، تخرج باللغات الساميَّة علىٰ كبار أساتذتها في بودابست وليزيج وبرلين وليدن، ولما نبه ذكره عين أستاذًا محاضرًا في =

الأولى للإسلام[١] وفيما يأتي الرد على هذه الشبهة:

١ -السنة النبويَّة هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم، والنبي ﷺ مأمور في القرآن بتبليغ ما أُنزل إليه من الوحي القرآني، وفي الوقت نفسه مأمور بتبيين الوحي القرآني[٢]، وهذا البيان هو السنة النبويَّة، التي تشمل: قوله، أو فعله، أو ما أقره، وقد أشار النبي ﷺ نفسه إلى ضرورة التمسك بسنته في قوله في خطبته المشهورة في حجة الوداع: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[٣].

٢ -لسنا ننكر أنَّ هناك الكثير من الأحاديث الموضوعة أو المكذوبة المنسوبة إلى النبي ﷺ، ولكن هذا لم يكن في يوم من الأيام خافيًا على علماء المسلمين في مختلف العصور، ومن أجل ذلك فإنَّهم لم يفرِّطوا إطلاقًا في ضرورة التدقيق، الذي لا حدَّ له في رواية الأحاديث[٤]، فقد وضع

=كليَّة العلوم بجامعة بودابست (١٨٧٣)، ثم أستاذ كرسي (١٩٠٦)، وانتدبته الحكومة للقيام برحلة إلىٰ سوريا (١٨٧٣)، فصحب فيها الشيخ/ طاهر الجزائري مدة، ثم تركها إلىٰ فلسطين، ومصر (١٨٧٣)، حيث تضلع من العربيَّة علىٰ شيوخ الأزهر -ولا سيما الشيخ/ محمد عبده متزييًا بزيهم- تضلعه من أصول اللغات السامية. [ينظر: المستشرقون، نجيب العقيقي (المتوفى: ١٤٠٢ هـ)، دار المعارف القاهرة، مصر، الثالثة، ١٩٦٤م، ٣/ ٣٠٩].

(١) راجع كتابنا الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاري ص١٠٦ وما بعدها، دار المعارف١٩٩٧م.

(٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كِتَابُ الْعِلْمِ، ١/ ١٧٢، حديث رقم(٣١٩).

(٤) قام علماء الحديث بنقد المرويات، ونخلها، وبيان صحيحها من ضعيفها؛ فصُنفت المصنفات في الرواة الثقات، وأيضًا في المقابل أُلفت المصنفات في الضعفاء والمتروكين، =

القرآن أمامهم أهم قاعدة من قواعد النقد التاريخي في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦]، وتتمثل هذه القاعدة في أنَّ أخلاق الراوي تُعدُّ عاملًا مهمًّا في الحكم على روايته، وقد أفاد المسلمون إفادة عظيمة من هذه القاعدة، وطبقوها على رواة الأحاديث النبويَّة، وقد كان تطبيق هذا المنهج النقدي على رواة الأحاديث هو الذي تطورت عنه بالتدريج قواعد النقد التاريخي[1].

٣-ونظرًا لأهميَّة السنة بالنسبة للإسلام فقد بذل علماء المسلمين جهودًا خارقة؛ لتوثيقها، وتمييز الثابت منها من غير الثابت، وابتكروا علومًا جديدة للحديث النبوي؛ لخدمة هذا الغرض، فهناك: علم الرجال، وعلم الإسناد، وعلم الجرح والتعديل، وغيرها، وكلها تتتبَّع رواة الأحاديث، وتدرس أحوالهم، وما ظهر من أمرهم، وما خفي؛ للتأكد من مدى صدقهم فيما نقلوه عن الرسول ﷺ، وبخاصة أنَّ النبي ﷺ نفسه قد حذَّر من الكذب عليه، حين قال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[2].

٤-كنموذج من بين النماذج العديدة لجهود علماء المسلمين في توثيق الحديث النبوي نشير إلى جهود الإمام البخاري (٨١٠-٨٧٠م) الذي أفنى حياته كلَّها في خدمة الحديث النبوي، فقد جمع هذا العالِم

=كما أُلِّفت المصنفات في الروايات الصحيحة، وفي المقابل أُلِّفت الكتب في الأحاديث الواهية والموضوعة، فرصدوا كلَّ ما وصل إليهم، وحاكموه لقواعد النقد الحديثي بأمانة ودقة.

(١) راجع: تجديد التفكير الديني في الإسلام، للدكتور/ محمد إقبال ص ١٦٠ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ النِّيَاحَةِ عَلَى المَيِّتِ، ٢/ ٨٠، حديث رقم (١٢٩١)، ونصُّه: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

أكثر من نصف مليون حديث منسوب إلى النبي ﷺ، ولكنه بعد الفحص والتدقيق لم يأخذ منها في صحيحه؛ نتيجة للمنهج العلمي الدقيق والشروط الصارمة التي وضعها إلا حوالي تسعة آلاف حديث، فإذا حذفنا منها الأحاديث المكررة لم يبق في صحيح البخاري إلا حوالي ثلاثة آلاف حديث فقط، وهكذا صنع غيره من علماء الحديث.

٥-بعد الجهود المضنية لعلماء الحديث في سبيل توثيق الأحاديث النبويَّة اعتمد المسلمون ستة كتب في هذا المجال، هي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن كلٍّ من أبي داود، والترمذي، والنسَّائي، وابن ماجه. وهناك مؤلَّفات إسلاميَّة عديدة أشارت إلى الأحاديث الضعيفة والموضوعة، التي يصل عددها إلى عشرات الآلاف.

ومن ذلك يتضح أنَّ علماء المسلمين قد خدموا السنة النبويَّة بما لا نظير له لدى الأمم الأخرى، وأنَّ الشك فيها جملة وتفصيلًا أمر، لا مبرر له.

رابعًا: هل هناك تعارض في الأحاديث النبويَّة؟

من الشبهات التي تثار حول الأحاديث النبويَّة أنَّ هناك تعارضًا بين هذه الأحاديث، الأمر الذي يعني إسقاط حجيَّتها، وردًّا على ذلك نضيف إلى ما سبق ما يأتي:

١ -لقد أكَّد القرآن الكريم الأخذ بما جاء به الرسول في قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وقد اشتملت الأحاديث النبويَّة

على ما أتانا به الرسول، وما نهانا عنه، ومن هنا فالسنة النبويَّة ضروريَّة، لا نستطيع أن نتخلى عنها، وإلا كنا مخالفين للقرآن الكريم نفسه.

٢-ليست هناك مشكلة في تمييز الأحاديث الصحيحة من غير الصحيحة، فهذا أمر قد بذل فيه علماء المسلمين جهودًا خارقة منذ قرون -كما سبق أن أشرنا إلى ذلك في الردِّ على الشبهة السابقة- والسنة لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنَّها الأصل الثاني للإسلام، ولا يجوز التخلي عن هذا الأصل؛ بسبب توهم وجود تعارض في بعض الأحاديث النبويَّة، فهذا التعارض -إن وجد- غير حقيقي، ويمكن بيان وجه الصواب فيه بالتأكد من صدق الروايات بناءً على القواعد العلميَّة الدقيقة التي وضعها علماء الحديث في هذا الشأن.

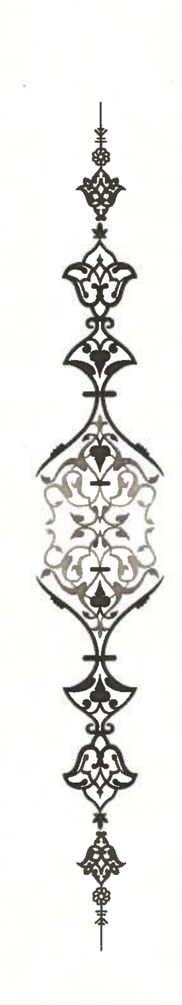
٣-السنة النبويَّة شارحة لما أتى مجملًا في القرآن الكريم، فكيف يمكن التخلي عنها؛ بناءً على أسباب متوهمة؟ إننا -نحن المسلمين- نؤدي صلاتنا يوميًّا بالطريقة التي وضحتها لنا السنة النبويَّة، وهذا التفصيل الوارد في السنة بشأن الصلاة كما نؤديها لم يرد في القرآن الكريم، وهناك أمثلة كثيرة مشابهة.

٤-الكتب المقدسة للأديان السابقة وردت بطريقة مشابهة للطريقة التي وردت إلينا بها الأحاديث النبويَّة، ولم يطلب أحد من أصحاب هذه الديانات التخلي عنها؛ لوجود بعض التعارض فيها، أو بعض الأخبار غير الموثَّقة، فالعقل والمنطق يدعو في مثل هذه الأحوال إلى ضرورة التثبت من المرويات، وهذا ما فعله علماء المسلمين بالنسبة للأحاديث النبويَّة منذ قرون عديدة.



الفصل الثالث

الفتوحات الإسلاميَّة وحقيقة الجهاد، وقضية العنف



الفتوحات الإسلاميَّة
وحقيقة الجهاد، وقضية العنف

أولا: هل انتشر الإسلام بالسيف؟

١-هناك قاعدة أساسيَّة صريحة في القرآن الكريم بالنسبة للحريَّة الدينيَّة تقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٥٦]، ومن أجل ذلك جعل الإسلام قضيَّة الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة أساسًا بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلي: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقد لفت القرآن الكريم نظر النبي إلى هذه الحقيقة، وبيَّن له أنَّ عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنَّه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩]، ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢]، ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى: ٤٨]. ومن ذلك يتضح أنَّ كِتاب المسلمين المقدس يرفض رفضًا قاطعًا إكراه أحد على اعتناق الإسلام.

٢-حدد الإسلام المنهج الذي يتحتم على المسلمين اتباعه في الدعوة إلى الإسلام، ونشره في كلِّ مكان، وجاء هذا المنهج في القرآن الكريم مشتملًا على الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، وقد وردت في القرآن الكريم آيات، تزيد على مائة وعشرين آية، تفيد كلها أن نشر الإسلام أساسه الإقناع الهادئ، والتعليم المجرد، وترك الناس أحرارًا بعد عرض الدعوة عليهم؛ ليقبلوها أو يردوها، وبعد فتح مكة ترك الرسول ﷺ أهلها قائلًا لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1]، فلم يكرههم على الإسلام بعد الانتصار الحاسم عليهم[2].

٣-لم يحدث أن أجبر المسلمون يهوديًّا أو مسيحيًّا على اعتناق الإسلام، ومن هنا كان إعطاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس من المسيحيين الأمان «على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يضار أحد منهم، ولا يرغم بسبب دينه»، كما أنَّ النبي ﷺ قد سجَّل في أول دستور المدينة بعد الهجرة أنَّ اليهود أُمَّة مع المسلمين، يشكلون جميعًا المجتمع الجديد في المدينة، واعترف لهم بحقِّهم في البقاء على دينهم.

٤-ترفض المستشرقة الألمانيَّة زيجريد هونكه[3]، في كتابها «الله مختلف

(١) أورده البيهقي في السنن الكبري: (١٨/ ٣٨٤) رقم (١٨٣٢٢).

(٢) راجع: محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام ج١ ص ١١٨، ١٢٠ وما بعدها -دار ثابت ١٩٨٣م.

(٣) «زيجريد هونكه» (١٩١٣-١٩٩٩م)، مستشرقة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية، وحصلت علىٰ شهادة الدكتوراه عام ١٩٤١م، اشتهر عنها في آخر حياتها أنها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة، كما هو واضح من أشهر تراجم كتاباتها انتشارًا في العالم العربي، وهما: شمس العرب تسطع علىٰ الغرب، وكتاب الله مختلف تمامًا، تناولت دراسة الأديان بموضوعية، وتعرف بإعجابها بإسلام والعربية، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية وسقوط ألمانيا؛ حيث ذهبت إلىٰ المغرب، وعاشت سنتين في طنجة، ثم رجعت إلىٰ ألمانيا واستقرت في بون؛ لتقوم بتأليف كتبها المشهورة عن إنصاف العرب والمسلمين «شمس العرب تشرق علىٰ الغرب = فضل العرب علىٰ أوروبا» د. زيجريد هونكه، ترجمه وحققه وعلق عليه: أ. د/ فؤاد حسنين علي، دار العلم العربي، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ.

تمامًا»[١] مقولة انتشار الإسلام بالسيف وتقول: «لقد لعب التسامح العربي دورًا حاسمًا في انتشار الإسلام، وذلك على العكس تمامًا من الزعم القائل بأنَّه قد انتشر بالنار والسيف، وقد أصبح هذا الزعم من الأغاليط الجامدة ضد الإسلام» وتقول أيضًا: «لقد كان أتباع الديانات الأخرى؛ أي: المسيحيون واليهود والصابئة والوثنيُّون هم الذين ألحوا من تلقاء أنفسهم في اعتناق الإسلام»[٢].

ومن المعروف أنَّ جيوش المسلمين لم تذهب إلى جنوب آسيا أو غرب إفريقيا، وقد انتشر الإسلام هناك عن طريق التجار والمتصوفة المسلمين بعد أن رأى الناس عمليًّا سلوكهم وأخلاقهم وحسن معاملاتهم، فانجذبوا إليهم، وأقبلوا على الإسلام من تلقاء أنفسهم[٣].

---

(١) تُرجم هذا الكتاب إلىٰ اللغة العربية تحت عنوان: «الله ليس كذلك»، ونشرته دار الشروق.

(2) Sigrid Hunke: Allah ist ganz anders. Horizont Verlag 1990.P.425

راجع أيضًا كتابنا: الإسلام في مرآة الفكر الغربي ص ١٠٦ وما بعدها، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.

(٣) قال الشيخ/ محمد أحمد عرفة، عضو هيئة كبار العلماء (١٨٩١م-١٩٧٣م) في كتابه: «السر في انتشار الإسلام» ما نصُّه: «إنها لمعجزة تاريخيَّة حقًّا لم تعهد لملَّةٍ غير ملَّة الإسلام... والسِّر في أمرين: في الإسلام نفسه، وفي الدَّاعي إليه وأصحابه وخلفائه من بعده»، ثم قال: «جاء الإسلام بالحقِّ في العقائد، وأقام الحجج والأدلَّة عليها بما يتَّفق والفطرة البشريَّة، والحقُّ إذا قامت الأدلَّة عليه وظهر انقادت له العقول، وكانت له السَّيطرة علىٰ النُّفوس، وتصرَّف في الضَّمائر، وتحكَّم في السَّرائر، ولم يملك له المرء دفعًا، وكان كلما حاول الخلاص منه ملك عليه أمره». [السِّرُّ في انتشار الإسلام، السِّلسلة العلميَّة، مجمع البحوث الإسلاميَّة، طبع بالهيئة العامَّة لشئون المطابع الأميريَّة، ص٨،٩].

ثانيًا: هل كانت الفتوحات الإسلاميَّة استعمارًا؟

١-الفتوحات الإسلاميَّة لم تكن استعمارًا، فالاستعمار -كما عرفناه في العصر الحديث- كان يقوم بنهب خيرات البلاد المستعمرة، وتخريب اقتصادها، وعدم الاهتمام بتنميتها اقتصاديًا وثقافيًا وحضاريًا، ولم يكن ذلك شأن الفتوحات الإسلاميَّة، والتاريخ شاهد على ذلك؛ فالأندلس -وهي جزء من أوروبا- قد أصبحت بعد الفتح الإسلامي بلادًا مزدهرة على كافة المستويات، وكلُّ مؤرخ منصف يستطيع أن يقارن بينها حينما كان المسلمون فيها، وبين غيرها من البلاد الأوروبيَّة حينذاك؛ ليرى مدى التقدم الذي حمله الفتح الإسلامي إليها، وقد كان هذا هو الشأن في كلِّ مكان دخله المسلمون، والآثار الإسلاميَّة المعماريَّة والحضاريَّة الباقية شاهدة على ذلك.

٢-الجزية كانت عبارة عن ضريبة يدفعها أهل البلاد المفتوحة؛ نظير قيام الدولة الإسلاميَّة بحمايتهم، وتأمينهم، والدفاع عنهم، وكان يحدث أنَّه إذا دخل منهم أحد في خدمة الجيش الإسلامي فإنَّ الجزية تسقط عنه، ويضرب السير/ توماس أرنولد (Sir Thomas W. Arnold)[1] في هذا الصدد مثلًا بقبيلة الجراجمة، وهي قبيلة مسيحيَّة، كانت تقيم بجوار

(١)السير/ توماس أرنولد (١٨٦٤ - ١٩٣٠) (Sir Thomas W.Arnold): تعلم في كمبريدج، وقضىٰ عدة سنوات في الهند أستاذًا في جامعة عليجرة (١٨٨٨- ١٨٩٨)، وأستاذًا للفلسفة في لاهور (١٨٩٨-١٩٠٤)، ومساعدًا لأمين مكتبة ديوان الهند (١٩٠٤-١٩٠٩)، وهو أول من جلس علىٰ كرسي الأستاذيَّة في قسم الدراسات العربيَّة في مدرسة اللغات الشرقيَّة بلندن (١٩٠٤)، ثم اختير عميدًا لها (١٩٢١-١٩٣٠)، وقد زار مصر في أوائل سنة١٩٣٠، وحاضر في الجامعة المصريَّة عن التاريخ الإسلامي.[ينظر المستشرقون، نجيب العقيقي، ٢/ ٥٠٤].

أنطاكية، وسالمت المسلمين، وتعهدت أن تكون عونًا لهم، وأن تقاتل معهم في مغازيهم على شريطة ألا تُفرض عليها الجزية[١].

٣-الجهاد في سبيل الله بهدف الحصول على الغنائم مرفوض في الإسلام، بل يُعَدُّ جريمة، وقد سئل النبي ﷺ عن رجل، يريد الجهاد في سبيل الله، وهو يبتغي عرضًا من الدنيا -أي: يبتغي الحصول على الغنائم- فقال: «لَا أَجْرَ لَهُ»، وكرر ذلك ثلاث مرات[٢].

٤-القول بأنَّ الفتوحات الإسلاميَّة كانت توسعات استعماريَّة ذات طابع اقتصادي يعدُّ عمليَّة إسقاط لما فعله الاستعمار الغربي بالبلاد الإسلاميَّة في العصر الحديث على فتوحات المسلمين في السابق، وبينهما فرق شاسع، ونضرب هنا مثالًا واحدًا فقط من بين أمثلة عديدة تبيِّن لنا انتفاء الجانب الاستعماري الاقتصادي في الفتوحات الإسلاميَّة، ففي المعاهدة التي أبرمها خالد بن الوليد مع بعض أهالي المدن المجاورة للحيرة سجَّل فيها نصًّا يقول: «فإن منعناكم -أي قمنا بحمايتكم- فلنا الجزية وإلا فلا»[٣].

---

(١) راجع: سير/ توماس أرنولد (Sir Thomas W.Arnold) «الدعوة إلىٰ الإسلام» ترجمة حسن إبراهيم وآخرين، مكتبة النهضة المصرية ص ٧٩، ٨٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كِتَابُ الْجِهَادِ، ٢/ ٩٤، حديث رقم (٢٤٣٦)، ونصُّه: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا أَجْرَ لَهُ» فَسَأَلَهُ الثَّانِيَةَ وَالثَّالِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا أَجْرَ لَهُ». قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، و راجع: محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام ج٢ص٢٩ وما بعدها، دار ثابت، ١٩٨٤م.

(٣) تاريخ الطبري=تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت، ٣/ ٣٦٨، ونص المعاهدة: «بِسْمِ اللهِ=

وقد حدث بالفعل أن قام المسلمون بردِّ الجزية إلى أهل المدن المفتوحة في الشام، حينما شعروا أنهم غير قادرين على توفير الحماية اللازمة لهذه المدن، وكان ذلك في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، حينما حشد الإمبراطور هرقل جيشًا ضخمًا لحرب المسلمين، وشُغِلَ المسلمون حينذاك بالمعركة مع جيش الروم، وكتب القائد العربي لأهل هذه المدن قائلًا: «إنَّما رددَّنا عليكم أموالكم؛ لأنَّه بلغنا ما جُمِع لنا من الجموع، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنَّا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم»[1].

ثالثًا: ما موقف المسلمين من الحضارات القديمة، ومِنْ حريق مكتبة الإسكندريَّة؟

١-ليس صحيحًا أنَّ المسلمين لم يكونوا يحترمون الحضارات القديمة؛ فقد استفادوا مما كان إيجابيًّا لدى هذه الحضارات، وترجموا إلى العربيَّة الكثير من الكتب اليونانيَّة والفارسيَّة والهنديَّة وغيرها، وإيمانًا منهم بأنَّ التراث الإنساني يشتمل على خبرات وتجارب وعلوم الشعوب المختلفة، وينبغي الاستفادة منه، وقد ورد في هذا الشأن قول النبي

=الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لِصَلُوبَا بْنِ نسطونَا وَقَوْمِهِ، إِنِّي عَاهَدْتُكُمْ عَلَىٰ الْجِزْيَةِ وَالْمَنْعَةِ، عَلَىٰ كُلِّ ذِي يَدٍ، بَانِقْيَا وبسما جميعًا، عَلَىٰ عَشَرَةِ آلَافِ دِينَارٍ سِوَىٰ الْخرزة، القويعلىٰ قَدْرِ قُوَّتِهِ، وَالْمُقِلُّ عَلَىٰ قَدْرِ إِقْلَالِهِ، فِي كُلِّ سَنَةٍ وَإِنَّكَ قَدْ نَقَبْتَ عَلَىٰ قَوْمِكَ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ رَضُوا بِكَ، وَقَدْ قَبِلْتُ وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَرَضِيتُ وَرَضِيَ قَوْمُكَ، فَلَكَ الذِّمَّةُ وَالْمَنْعَةُ، فَإِنْ مَنَعْنَاكُمْ فَلَنَا الْجِزْيَةُ، وَإِلا فلا حَتَّىٰ نَمْنَعَكُمْ. شَهِدَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَالْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحِمْيَرِيُّ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَتَبَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِي صَفَرٍ».

(١) راجع: «الدعوة إلىٰ الإسلام» للسير/ توماس أرنولد ص ٧٩.

ﷺ: «الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»[1]، ومن المرويات الإسلاميَّة المأثورة: «اطلبوا العلم ولو في الصين»[2]، أي اطلبوا العلم حتى ولو كان في يد مَنْ لا يدينون بدينكم، وأيضًا حتى لو كان في أبعد مكان في الدنيا، وكانت الصين تُعَدُّ في نظر العرب -حينذاك- أبعد مكان في الدنيا.

٢-يعبِّر الفيلسوف المسلم ابن رشد عن الموقف الإسلامي إزاء تراث الحضارات القديمة بقوله: «إنَّ الشرع يوجب الاطلاع على كتب القدماء؛ ما دام الهدف الذي يقصدون إليه هو ذات المقصد الذي حثَّنا عليه الشرع، وهو النظر العقلي في الموجودات، وطلب معرفتها، واعتبار لها بحسب ما اقتضه شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه في ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقًا للحقِّ قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحقِّ نبهنا عليه، وحذرنا منه، وعذرناهم»[3].

٣-الحقيقة العلميَّة والتاريخيَّة تؤكِّد أنَّ المسلمين لم يحرِّقوا مكتبة الإسكندريَّة على الإطلاق، وقد أُلصقت بهم هذه التهمة ظلمًا وعدوانًا، وأذاع خصوم المسلمين هذه الإشاعة التي ليس لها أساس على نطاق واسع حتى أصبح الناس يرددونها وكأنَّها حقيقة مستقرة، وقد انتشرت في القرن الثالث عشر الميلادي انطلاقًا من روح الحروب الصليبيَّة، ولا

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْحِكْمَةِ، ٢/ ١٣٥٩، حديث رقم (٤١٦٩).

(٢) انظر كشف الخفاء ج١، ص١٣٨.

(٣) راجع: فصل المقال لابن رشد، ص٧١ (ضمن كتاب: فلسفة ابن رشد). بيروت، ١٩٨٢م.

تزال تتردد للأسف حتى يومنا هذا، رغم أنَّ المحققين من العلماء أثبتوا بطلانها، ومؤدى هذه الإشاعة أنَّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد أمر بإحراق مكتبة الإسكندريَّة القديمة، ونُسب إليه القول: «إن كانت هذه الكتب تشتمل على ما هو موجود في القرآن فلا فائدة منها، ولسنا في حاجة إليها، وإن كان ما فيها يتعارض مع القرآن فلا مفرَّ من إبادتها، وقيل أيضًا: إنَّ العرب المسلمين قد استخدموا هذه الكتب وقودًا للحمَّامات العامَّة لمدة ستة أشهر».

٤-لقد بيَّنت المستشرقة الألمانيَّة زيجريد هونكه (Sigrid Hunke) في كتابها «الله مختلف تمامًا» أنَّ العرب عندما دخلوا الإسكندريَّة عام ٦٤٢م لم تكن هناك مكتبة في الإسكندريَّة، فقد تم إحراقها قبل ذلك بقرون، كما أنَّه لم تكن هناك حمامات عامة، وبينت أنَّ المكتبة القديمة الملحقة بالأكاديميَّة التي أسسها في الإسكندريَّة الملك بطليموس الأول سوتر (Soter) حوالي عام ٣٠٠ ق.م قد أُحرقت عام ٤٧ ق.م، عندما حاصر يوليوس قيصر المدينة، وقد أعادت كليوباترا تشييد المكتبة، وزودتها بكتب من مكتبة برجامون.

٥-شهد القرن الثالث الميلادي بداية التدمير المنظم للمكتبة، فقد عطل القيصر كاراكالا (Caracalla) الأكاديميَّة، وقام المتحمسون الدينيُّون بتدمير المكتبة عام ٢٧٢م بوصفها عملًا وثنيًّا، وفي عام ٣٩١م استصدر البطريرك تيوفيلوس (Theophilos) من القيصر تيودوسيوس (Theodosios) إذنًا بالموافقة على تدمير الأكاديميَّة الباقية، وإحراق ما تبقى من المكتبة

الملحقة بها والتي كانت تحوي ثلاثمائة ألف لفافة من لفائف الكتب، وذلك بهدف إقامة كنيسة ودير بدلًا منها، واستمر التدمير في القرن الخامس عن طريق الإغارة على العلماء الوثنيِّين، وعلى أماكن عبادتهم، والقيام بتدمير مكتبتهم[1].

وممَّا تقدم يتضح لنا مدى التزييف المتعمَّد للتاريخ؛ بهدف تشويه سمعة الإسلام والمسلمين، وإظهارهم بمظهر أعداء العلم والحضارة، وهم بريئون من كلِّ ذلك تمامًا.

رابعًا: ما حقيقة الجهاد في الإسلام؟

١-لقد شاع في اللغات الأجنبيَّة ترجمة مصطلح الجهاد بالحرب المقدَّسة، والإسلام لا يعرف مصطلح الحرب المقدَّسة، فهناك فقط: حرب مشروعة وحرب غير مشروعة، وقد أسيء فهم مصطلح الجهاد في غالب الأحيان، فالجهاد معناه بذل الجهد، ومن هنا فهو ينقسم إلى قسمين، أحدهما: جهاد النفس، وثانيهما: الجهاد بمعنى الحرب المشروعة، ومن المعروف في الإسلام أنَّ النوع الأول يطلق عليه الجهاد الأكبر الذي ينصب على محاربة الإنسان لنوازعه الشريرة، والتغلب على أهوائه، وتصفية نفسه من كلِّ الصفات الذميمة، وتطهيرها من الحقد والحسد والكراهية للآخرين، وبذلك يكون أهلًا للقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أمَّا النوع الثاني من الجهاد فيطلق عليه: الجهاد الأصغر، بمعنى الحرب المشروعة.

---

(1) Sigrid Hunke: Allah ist ganz anders.P.85 90.

راجع أيضًا كتابنا: الإسلام في مرآة الفكر الغربي ص ١٠٠ وما بعدها.

٢-الحرب المشروعة في الإسلام أو الجهاد هي حرب دفاعيَّة، هدفها ردُّ العدوان فقط، وآيات القرآن واضحة في هذا الشأن، فقد أذن الله للمسلمين بقتال أعدائهم الذين اعتدوا عليهم في قول القرآن: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ [الحج: ٣٩]، ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وهذا يبيِّن لنا أنَّه على الرغم من الإذن بالقتال دفاعًا عن النفس، فإنَّ القرآن يحذِّر من مجاوزة الحد في ذلك إلى الاعتداء، فالله لا يحب المعتدين.

وكراهية الإسلام للقتال وإراقة الدماء تعد موقفًا مبدئيًّا، فالاستثناء إذن هو القتال لردِّ العدوان: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦]، فالبدء بالعدوان على الآخرين أمر مرفوض إسلاميًّا، وليس له سند في الإسلام.

٣-وإذا كان الجهاد يعني الحرب الدفاعيَّة فإنَّ ذلك لا يقتصر على القتال، فقد يكون الجهاد بالمال أو بالنفس أو بالفكر أو بأي وسيلة أخرى، تساعد على ردِّ العدوان في كلِّ أشكاله وصوره، والهدف هو حماية المجتمع الإسلامي، والدفاع عنه، وعن عقيدته التي يؤمن بها، وهذا حقٌّ مشروع لكلِّ أُمَّة من الأمم، وتؤكِّده المواثيق الدوليَّة في العصر الحديث.

٤-إذا وجد المسلمون لدى عدوهم رغبة في السلم ووقْف العدوان فالإسلام يأمرهم أن يردُّوا على ذلك بالإيجاب: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، والإسلام فضلًا عن ذلك يدعو إلى

التعايش السلمي مع الآخرين، وإقامة علاقات طيبة معهم، ما داموا لا يعتدون على المسلمين، وهنا نجد القرآن الكريم يحثُّ المسلمين على التعامل معهم على أساس من العدل والإنصاف والبر والإحسان: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[الممتحنة:٨]، وهذا يبيِّن لنا أنَّ هدف الإسلام هو نشر السلام والتسامح بين الناس، والتعاون فيما بينهم من أجل خير الإنسان وسعادته واستقراره.

ومن هنا فإنَّ ما تروِّجه بعض وسائل الإعلام العالميَّة من أنَّ الإسلام دين يحضُّ على العدوان والتطرف والتعصب والقتل والإرهاب افتراء ظالم، لا أساس له في تعاليم الإسلام؛ فالإسلام على النقيض من ذلك تمامًا، إنَّه دين الرحمة والسلام، وستزيد هذه النقطة إيضاحًا في الفقرتين الآتيتين:

خامسًا: هل الإسلام يدعو إلى التطرف والعنف؟

١-الإسلام دين الرحمة والتسامح، يدعو إلى العدل والسلام، ويصون حريَّة الإنسان وكرامته، وهذه ليست مجرد شعارات يرفعها الإسلام، وإنما هي مبادئ أساسيَّة راسخة، قام عليها بنيان الإسلام، فقد أرسل الله نبيه محمد ﷺ ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، كما ورد ذلك في القرآن الكريم، ووصف النبي رسالته بقوله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»(١)، ومنح الإسلام الإنسان حريَّة الاختيار حتى في أمور الاعتقاد: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد، بَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ، ١/ ١٠٤، حديث رقم (٢٧٣).

والدعوة إلى الإسلام تقوم على الإقناع بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، لا على الإكراه والإرغام، كما أمر الإسلام بالعدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والإفساد في الأرض، ودعا إلى مقابلة السيئة بالحسنة، وقد عفا النبي ﷺ عن أهل مكة عند فتحها، رغم كلِّ الذي صنعوه معه ومع أصحابه من الظلم والاضطهاد والقتل والتعذيب، وقال لهم: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»(١).

٢-وهناك تطابق تامٌّ بين الإسلام والسلام، فكلمة الإسلام مشتقة من الأصل ذاته الذي اشْتُق منه لفظ السلام، وقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم بأنَّه السلام، وتحية المسلمين هي السلام؛ تذكيرًا لهم باستمرار بأنَّ السلام هدف رئيس، لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان، والمسلم يتجه في نهاية صلاته كلَّ يوم خمس مرات بتحية الإسلام إلى نصف العالم ناحية اليمين، ثم بعد ذلك إلى النصف الآخر ناحية الشمال، الأمر الذي يرمز إلى توجه المسلمين بأمنيات السلام للعالم كلِّه.

٣-ومن كلِّ ذلك يتضح الطابع السلمي للإسلام، فليس هناك مكان في هذا الدين للعنف أو التشدد، أو التعصب أو التطرف، أو القهر والإرهاب وترويع الآمنين، أو الاعتداء على حياتهم وممتلكاتهم، فمقاصد الشريعة الإسلاميَّة تتمثل في حماية الحقوق الأساسيَّة للإنسان، وبصفة خاصة حماية حياته ودينه وعقله وأسرته وممتلكاته، ومن هنا حرَّم الإسلام الاعتداء على الآخرين بأي شكل من الأشكال لدرجة أنَّه جعل الاعتداء

---

(١) سنن البيهقي، باب فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا اللهُ -تَعَالَىٰ-، ٩/ ١١٨،(١٨٣٢٠).

على فرد واحد من أفراد الإنسانيَّة كأنَّه اعتداء على البشريَّة كلِّها: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة:٣٢].

فكلُّ فرد يمثل الإنسانيَّة في شخصه، وهذه الإنسانيَّة التي يحرص الإسلام على حمايتها تتمثل في احترام كلِّ فرد بشري للآخر: احترام حريته وكرامته وحقوقه الإنسانيَّة العامَّة، وقد ورد في الحديث الشريف: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[1]، كما جاء في حديث آخر: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»[2]، كما دعا الإسلام إلى التعايش السلمي بين الشعوب، وإلى معاملة غير المسلمين بالعدل والإنصاف، كما يقول القرآن الكريم: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨].

٤-ومسئوليَّة الحفاظ على أمن المواطنين واستقرارهم تُعَدُّ مسئوليَّة مشتركة بين الناس جميعًا، وتحمُّل هذه المسئوليَّة هو السبيل إلى الاستقرار والأمن في مواجهة أخطار الفساد والإفساد، فنحن جميعًا -كما جاء في حديث شريف- : «كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، ٦/ ١٩٨٦، حديث رقم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ يَأْخُذُ الشَّيْءَ عَلَى الْمِزَاحِ، ٤/ ٣٠١، حديث رقم (٥٠٠٤).

نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1].

سادسًا: ما موقف الإسلام من التعصب والإرهاب؟

١-الإسلام دين لا يعرف التعصب على الإطلاق، وبالتالي فإنَّه لا يدعو أتباعه إلى التعصب، ومصادر الإسلام في القرآن والسنة لا تشتمل على شيء من هذا القبيل.

فالدعوة إلى الإسلام -كما يشير القرآن الكريم- تقوم على أساس من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، وهذه الأساليب بعيدة تمامًا عن كلِّ شكل من أشكال التعصب، ومن هنا رأينا النبي ﷺ يقول لكفار مكة بعد رفضهم دعوته لهم إلى الإسلام: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

٢-أمَّا ما يتصل بالأديان السماويَّة السابقة فإنَّ الإسلام يعتبر الإيمان بأنبياء الله السابقين على محمد ﷺ عنصرًا أساسيًّا من عقيدة المسلم، وهذا ما يشير إليه القرآن في وضوح تام: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فالموقف الإسلامي إزاء الأنبياء جميعًا هو عدم التفريق بين أحد منهم، وتلك صورة في التسامح الديني لا مثيل لها لدى أتباع أي دين من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَابٌ: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالاِسْتِهَامِ فِيهِ ٣/ ١٣٩، (٢٤٩٣).

الأديان، فهل هناك مجال للتعصب بأيِّ شكل من الأشكال في تعاليم دين بهذا الوصف؟

٣-يدعو الإسلام الناس جميعًا إلى التآلف والتعارف، رغم الاختلافات التي بينهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:١٣]، كما يدعو الإسلام المسلمين في صراحة ووضوح إلى التعايش السلمي مع غير المسلمين، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨].

٤-الإسلام دين يدعو إلى الصفح والعفو ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ويدعو إلى مقابلة الإساءة بالإحسان على أمل أن ينقلب العدو إلى صديق، كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[فصلت: ٣٤].

٥-في حديث للنبي ﷺ قال: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا»[١]، وهذه دعوة إلى نبذ التعصب؛ لأنَّ التنفير ينطلق من منطلق التعصب، أمَّا التبشير فينطلق من منطلق التسامح، وإذا كان الإسلام يرفض التعصب فإنَّه بالتالي يرفض الإرهاب والتطرف وترويع الآمنين وقتل الآخرين، بل يعتبر الإسلام الاعتداء على فرد واحد كأنَّه اعتداء

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ؛ كَيْ لَا يَنْفِرُوا، ١/ ٢٥، حديث رقم (٦٩).

على البشريَّة كلِّها: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة:٣٢].

٦-من ذلك يتضح أنَّ إلصاق تهمة التعصب بالإسلام لا تقوم على أساس، وليس لها أي سند من تعاليم الإسلام، وإذا كان بين المسلمين بعض المتعصبين أو المتطرفين أو الإرهابيين فلا يرجع ذلك بأي حال من الأحوال إلى تعاليم الإسلام، وإنما يرجع إلى فهم خاطئ، وتأويل باطل لتعاليم الإسلام، والإسلام لا يتحمل وزر ذلك، وينبغي التفريق بين التعاليم السمحة للإسلام وبين السلوكيَّات الخاطئة لبعض المسلمين، ومن ناحية أخرى نجد أنَّ التعصب موجود لدى بعض الجماعات في كلِّ الأديان، والإرهاب أصبح ظاهرة عالميَّة، لا يختص بها أتباع دين معين دون بقية الأديان، وهذه حقيقة ماثلة أمام أعين الجميع في عالمنا المعاصر، فهل الإسلام هو الذي أفرز هذه الظاهرة العالميَّة بين أتباع جميع الأديان؟!





الفصل الرابع

الإسلام وقضايا الإنسان



الإسلام وقضايا الإنسان

أولًا: ما حقيقة العلاقة بين الله والإنسان؟

١-لقد خلق الله الإنسان، وجعله خليفة في الأرض، وسخَّر له الكون كلَّه، بسمائه وأرضه وما بينهما، وطلب منه عمارة الأرض، وذلك يدل على أنَّ الله أراد للإنسان أن يكون سيِّدًا في هذا الكون، ولكنه في الوقت نفسه مخلوق الله، فلا يجوز له أن ينسى هذه الحقيقة، وبهذا المعنى فهو عبد الله، ولكن ليس معنى ذلك عبوديَّة المذلة والاحتقار، فقد أعطى الله له الحريَّة كاملة لقبول طاعة الله أو عصيانه، وللإيمان أو الكفر به: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، والحريَّة على النقيض تمامًا من العبوديَّة، فالإنسان دائما في موقف الاختيار؛ ولذلك فهو مسئول عمَّا يفعل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الجاثية:١٥].

٢-لقد كرَّم الله الإنسان، وفضَّله على كثير من خلقه كما أخبر القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]، وهذه الكرامة التي منحها الله للإنسان مناقضة تمامًا للمذلة والاحتقار، وعندما خلق الله الإنسان نفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩]، وفي هذه النفخة الروحيَّة الإلهيَّة تكمن العلاقة الحميمة بين الله والإنسان، فكلُّ فرد من أفراد الإنسان يحمل في داخله شيئًا من هذه النفخة الإلهيَّة، التي تُشعِر الإنسان بأنَّ الله معه في كلِّ زمان وفي كلِّ مكان: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

٣-يبيِّن لنا القرآن الكريم أنَّ الله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وأنَّه قريب يجيب دعوة من يدعوه، وأنَّه رحيم بعباده، فهو أرحم الراحمين، وقد وَسِعَتْ رحمته كلَّ شيء، وإذا كان قد ورد في القرآن وصفه -سبحانه- بالجبار مرة واحدة، وبالقاهر مرتين، وبالقهار ست مرات، فقد ورد في القرآن أيضًا وصفه بالرحمن سبعًا وخمسين مرة، وبالرحيم مائة وخمس عشرة مرة، بالإضافة إلى البسملة في بدايات السور التي ورد فيها وصفه بالرحمن الرحيم مائة وأربع عشرة مرة، كما ورد وصفه بأنَّه أرحم الراحمين أربع مرات، وبأنَّه رءوف عشر مرات، وهذا عدا المرات الكثيرة التي أضيفت فيها الرحمة إليه، ولهذا كلِّه دلالة عميقة على طبيعة الصلة الحميمة بين الله والإنسان، فهي صلة القرب والرحمة والاستجابة، فالله أرحم بخلقه من الأمِّ على ولدها، وهذا ما يَشعُر به كلُّ مسلم في أعماق نفسه.

ثانيًا: ما موقف الإسلام من العقل الإنساني؟

١-لعلَّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي أعلى من شأن العقل الإنساني، ورفع من مكانته، فالعقل هو مناط التكليف والمسئوليَّة، وبه يَعرف الإنسان خالقه، ويدرك أسرار الخلق وعظمة الخالق، والقرآن في خطابه للإنسان يخاطب عقله، ويحثُّه على النظر في الكون، والتأمل فيه، ودراسته من أجل خير البشريَّة وعمارة الأرض ماديًا ومعنويًا، وليس في الإسلام شيء يناقض العقل، أو يصادم الفكر السليم، أو يتعارض مع حقائق العلم.

٢-لقد طلب الإسلام من الإنسان ضرورة استخدام عقله، وعاب على الذين يعطِّلون قواهم الإدراكيَّة، وعلى رأسها العقل من أداء وظائفها؛ ولذلك يعتبر القرآن هؤلاء أناسًا قد تخلوا عن إنسانيتهم فيقول: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، كما جعل القرآن عدم استخدام العقل ذنبًا من الذنوب؛ ولذلك يقول عن الكفار يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الملك: ١٠، ١١].

٣-يلفت الإسلام نظر الإنسان إلى أنَّ الله قد سخَّر له هذا الكون كلَّه، وأن واجبه أن يستخدم عقله في توظيف كلِّ شيء من أجل خير الإنسان، وعمارة الأرض: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الجاثية:١٣].

فالكون كلُّه -إذن- مجال للعقل الإنساني، يصول فيه ويجول دون حَجْرٍ على عقل أو مصادرة لفكر، طالما كان ذلك من أجل خير الإنسان، فكلُّ ما ينفع الناس يشجِّع الإسلام عليه.

٤-النصوص الدينيَّة في الإسلام مِلزمة للإنسان المسلم، فيما يتصل بالأصول والتشريعات الدينيَّة، ولكن الإنسان له حريَّة الاجتهاد في أمور الدنيا، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في قوله: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ ﷺ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَىٰ سَبِيلِ الرَّأْيِ، ٤/ ١٨٣٦، حديث رقم (٢٣٦٣).

فمساحة حريَّة الفكر والبحث العلمي في الإسلام مساحة واسعة ومكفولة للإنسان، وكلُّ ما في الأمر أنَّه لا يجوز لأحد أن يمس حرمة المقدَّسات الدينيَّة، وكلُّ دين له مقدَّسات يعتزُّ بها، فمحاولة العبث بهذه المقدَّسات -وعلى رأسها النصوص الدينيَّة المقطوع بصحتها، كالوحي القرآني والسنة الصحيحة- بأيِّ شكل من الأشكال؛ بهدف تغييرها أو تبديلها بالحذف أو الإضافة أو السخريَّة منها، فهي محاولات مرفوضة، بل وآثمة، وتُعَدُّ عدوانًا على النظام العام في المجتمع، بالإضافة إلى كونها إثمًا دينيًّا، أمَّا ما عدا ذلك من مجالات أخرى فإنَّ في الكون كلِّه بأرضه وسمائه وما بينهما مجالًا، لا حدَّ له أمام العقل الإنساني للبحث والاجتهاد والاختراع والابتكار، والإبداع في كل صوره وأشكاله.

ثالثا: هل الإسلام دين يدعو إلى التواكل؟

١-من يتأمل في آيات القرآن الكريم يتأكَّد عن يقين أنَّ الإسلام دين يحثُّ على العمل ويدفع الإنسان دفعًا إليه؛ فالعمل هو الحياة، ودون العمل تتوقف الحياة، ومن هنا يربط القرآن -في كثير من آياته- بين الإيمان والعمل الصالح، وهذا العمل الصالح يشمل كلَّ عمل يؤديه الإنسان، دينيًّا كان هذا العمل أم دنيويًّا، طالما قُصد به وجه الله، ونفع الناس، ودفْع الأذى عنهم. والأمر بالعمل في القرآن واضح لا غموض فيه: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، بل إنَّ القرآن يحثُّ المسلمين على العمل حتى في يوم الجمعة، الذي يُعَدُّ يوم راحة لدى المسلمين: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[الجمعة: ١٠].

٢-يحثُّ النبي ﷺ على العمل حتى في آخر لحظة في حياة الإنسان ونهاية العالم، ومن هنا كان قوله: «إذا قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة [أي شجيرة صغيرة] فإذا استطاع ألا يقوم حتى يغرسها، فليفعل»[(١)]، وقد رفض النبي ﷺ انقطاع بعض الناس للعبادة في المسجد، واعتمادهم على غيرهم في الحصول على طعامهم وشرابهم، وامتدح من يعمل ويأكل من كسْب يده، وأثنى على اليد العاملة بأنَّها يد، يحبُّها الله ورسوله.

٣-كان النبي ﷺ قدوة المسلمين جميعًا بنصِّ القرآن، يعمل، ويخطط، ويتدبر الأمور، ويعد لكلِّ شيء عدته، ويأخذ بالأسباب، ثم يتوكل على الله، فالتوكُّل على الله لا يعني ترك العمل، وعدم الأخذ بالأسباب، وإنما هو خطوة تالية بعد إعداد كلِّ شيء، ومن شأن هذا التوكل أن يذكِّر الإنسان بالله، ويزوِّده بطاقة روحيَّة، تجعله أكثر قدرة على التغلب على الصعاب، ومواجهة المشكلات، بعزيمة لا تلين، فالتوكل على الله -إذن- قوة إيجابيَّة دافعة، وليس سلبيَّة أو تواكلًا.

٤-التواكل يعني عدم الأخذ بالأسباب، وعدم العمل؛ اعتمادًا على أنَّ الله سيفعل كلَّ شيء حسبما يريد، وهذا أمر مرفوض في الإسلام؛ فالله لا يعين إنسانًا لا يساعد نفسه، ولكنه مع مَنْ يعمل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْهُ ٢٠ / ٢٥١، حديث رقم(١٢٩٠٢)، ولفظه: «إِنْ قَامَتْ عَلَىٰ أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا».

وقد طرد عمر بن الخطاب بعض المتواكلين المنقطعين للعبادة في المسجد؛ اعتمادًا على أنَّ غيرهم يرعاهم، ويقوم بأمرهم، وقال كلمته المشهورة: «إنَّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»[١]، واستشهد بحديث النبي ﷺ الذي يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»[٢]، أي اعملوا واعتبروا بالطير، التي تخرج في الصباح سعيًا وراء قوتها وبطونها خاوية، وتعود آخر اليوم وقد امتلأت بطونها.

رابعًا: ما موقف الإسلام من الديمقراطيَّة وحقوق الإنسان؟

١-يُعَدُّ الإسلام أول من نادى بحقوق الإنسان، وشدَّد على ضرورة حمايتها، وكلُّ دارس للشريعة الإسلاميَّة يعلم أنَّ لها مقاصد تتمثل في حماية حياة الإنسان ودينه وعقله وماله وأسرته، والتاريخ الإسلامي سجَّل للخليفة الثاني عمر بن الخطاب مواجهته الحاسمة لانتهاك حقوق الإنسان، وقوله في ذلك: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!»[٣].

٢-تُبنى حقوق الإنسان في الإسلام على مبدأين أساسين، هما: مبدأ المساواة بين كلِّ بني الإنسان، ومبدأ الحريَّة لكلِّ البشر، ويؤسِّس

---

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٢/ ٥٠٤، ولم يعلِّق عليه العراقي في المغني، وتمامه: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، يقول: اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة».

(٢) رواه الترمذي في سننه، بَابٌ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، ٤/ ٥٧٣، حديث رقم (٢٣٤٤).

(٣) انظر: مناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، ص:٩٩.

الإسلام مبدأ المساواة على **قاعدتين راسختين**، هما: وحدة الأصل البشري، وشمول الكرامة الإنسانيَّة لكلِّ البشر، أمَّا **وحدة الأصل البشري** فإنَّ الإسلام يعبِّر عنها بأنَّ الله قد خلق الناس جميعًا من نفس واحدة، فالجميع إخوة في أسرة إنسانيَّة كبيرة، لا مجال فيها لامتيازات طبقيَّة، والاختلافات بين البشر لا تمس جوهر الإنسان الذي هو واحد لدى كلِّ البشر، ومن هنا فهذه الاختلافات ينبغي -كما يشير القرآن الكريم- أنْ تكون دافعًا إلى التعارف والتآلف والتعاون بين الناس، وليس منطلقًا للنزاع والشقاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

أمَّا القاعدة الأخرى للمساواة، فهي **شمول الكرامة الإنسانيَّة لكلِّ البشر**، وقد نصَّ القرآن على ذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]، فالإنسان بهذا التكريم جعله الله خليفة في الأرض، وأسجد له ملائكته، وجعله سيدًا في هذا الكون، وسخَّر له ما في السموات وما في الأرض، فالإنسان بذلك له مكانته ومكانه المفضَّل بين الخلق جميعًا، وقد منح الله هذه الكرامة لكلِّ الناس بلا استثناء؛ لتكون سياجًا من الحصانة والحماية لكلِّ فرد من أفراد الإنسان، لا فرق بين غني وفقير، وحاكم ومحكوم؛ فالجميع أمام الله وأمام القانون وفي الحقوق العامَّة سواء.

أمَّا المبدأ الثاني الذي ترتكز عليه حقوق الإنسان، فهو مبدأ الحريَّة؛ فقد جعل الله الإنسان كائنًا مكلفًا ومسئولًا عن عمارة الأرض، وبناء الحضارة الإنسانيَّة، وليست هناك مسئوليَّة دون حريَّة، حتى في قضية

الإيمان والكفر التي جعلها الله مرتبطة بمشيئة الإنسان: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وهكذا تشمل الحريَّة كلَّ الحريَّات الإنسانيَّة دينيَّة كانت، أم سياسيَّة، أم فكريَّة، أم مدنيَّة.

٣-الحُكم في تعاليم الإسلام لا بد أن يقوم على أساس من العدل والشورى، وقد أمر الله الناس في القرآن بالعدل، وألزمهم بتطبيقه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]، والآيات في ذلك كثيرة.

أمَّا الشورى فهي مبدأ أساس ملزِم، وكان النبي ﷺ يستشير أصحابه، ويأخذ برأي الأغلبيَّة وإن كان مخالفًا لرأيه، وأظهر مثل على ذلك خروج المسلمين إلى غزوة أحد، فقد كان الرسول ﷺ يرى عدم الخروج، ولكن الأكثريَّة كانت ترى الخروج، فنزل على رأيهم وخرج، وكانت الهزيمة للمسلمين، ومع ذلك شدد القرآن على ضرورة الشورى، فقال مخاطبًا النبي: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]. ولا يُلتفت في هذا الصدد إلى رأي قلَّة من الفقهاء الذين يزعمون أنَّ الشورى غير ملزِمة؛ فهذا الزعم مخالف للنصوص الدينيَّة الصريحة.

وقد ترك الإسلام للمسلمين حريَّة اختيار الشكل الذي تكون عليه الشورى؛ طبقًا للمصلحة العامَّة، فإذا كانت المصلحة تقتضي أن تكون الشورى بالشكل المعروف الآن في الدول الحديثة، فالإسلام لا يعترض على ذلك، وكلُّ ما في الأمر هو التطبيق السليم مع المرونة طبقًا لظروف كلِّ عصر، وما يستجد من تطورات محليَّة أو دوليَّة.

ومن ذلك يتضح مدى حرص الإسلام على حقوق الإنسان وصيانتها، وحرصه على التطبيق السليم لمبدأ الشورى أو الديمقراطيَّة بالمفهوم الحديث.

٤-الإسلام أتاح الفرصة لتعدديَّة الآراء، وأباح الاجتهاد حتى في القضايا الدينيَّة، طالما توافرت في المجتهد شروط الاجتهاد، وجعل للمجتهد الذي يجتهد ويخطئ أجرًا، وللذي يجتهد ويصيب أجرين، والدارس لمذاهب الفقه الإسلامي المعروفة يجد بينها اختلافات في وجهات النظر في العديد من القضايا، ولم يقل أحد: إنَّ ذلك غير مسموح به، ومن هنا تجد أنَّ الإسلام يتيح الفرصة أمام الرأي الآخر؛ ليعبر عن وجهة نظره دون حرج، ما دام الجميع يهدفون إلى ما فيه خير المجتمع، والحفاظ على أمنه واستقراره.

خامسًا: ما موقف الإسلام من الفنون؟

١-الإسلام دين يحب الجمال، ويدعو إليه في كلِّ شيء، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»[1]، والفن هو في حقيقته إبداع جمالي، لا يعاديه الإسلام، وغاية ما في الأمر أنَّ الإسلام يجعل الأولويَّة للمبدأ الأخلاقي على المبدأ الجمالي، بمعنى أنَّه يجعل الثاني مترتبًا على الأول، ومرتبطًا به، وهذا هو الموقف المبدئي للإسلام إزاء جميع أشكال الفنون.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، ١/ ٩٣، حديث رقم(٩١).

وهناك معيار إسلامي للحكم على أي فن من الفنون، يتمثل في قاعدة تقول: «حَسَنُه حَسَن، وقبيحه قبيح».

والقرآن الكريم في العديد من آياته يلفت الأنظار إلى ما في الكون من تناسق وإبداع وإتقان، وما يتضمنه ذلك من جمال وبهجة وسرور للناظرين، ومن هنا لا يُعقل أن يرفض الإسلام الفن إذا كان جميلًا، أمَّا إذا اشتمل على القبح، بما يعنيه ذلك من قبح مادي ومعنوي، فإنَّ الإسلام يرفضه، ولا يوافق عليه.

٢-وترتيبًا على ما تقدَّم فإنَّ الفنَّ إذا كان هدفه المتعة الذهنيَّة، وترقيق الشعور، وتهذيب الأحاسيس، فلا اعتراض عليه، ولكن إذا خرج عن ذلك، وخاطب الغرائز الدنيا في الإنسان، وخرج عن أن يكون فنًّا هادفًا، فإنَّه حينئذ لا يساعد على بناء الحياة، بل يعمل على هدمها، وبذلك يخرج عن أن يكون فنًّا، بل يصير نوعًا من اللهو المذموم، والعبث المرفوض، وهذا أمر لا يقرُّه الإسلام.

٣-إذا كانت الموسيقى والغناء تحمل إلينا ألحانًا جميلة، وكلمات مهذَّبة، وأنغامًا راقية، وأصواتًا جميلة، فذلك لا يرفضه الإسلام طالما كان في إطار المبدأ الأخلاقي، أي طالما كان هدف الفنِّ هو السمو بالإنسان وبأحاسيسه ووجدانه ومشاعره، وقد امتدح النبي ﷺ صوت أبي موسى الأشعري -وكان صوته جميلًا- وهو يتغنى بالقرآن، وكان النبي ﷺ يختار من بين أصحابه للأذان أجملهم صوتًا، وقد سمع النبي ﷺ صوت الدف والمزمار دون تحرج، وفي يوم عيد دخل أبو بكر على

ابنته عائشة زوجة الرسول، ولديها جاريتان تغنيان وتضربان بالدفوف، فاعترض أبو بكر على ذلك، ولكن النبي ﷺ رفض ما أبداه أبو بكر من احتجاج في هذا الصدد قائلًا: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى»[١]، وقد أوصى النبي ﷺ نفسه السيدة عائشة أن ترسل من يغني في حفل زفاف قريبة لها زُفَّتْ إلى رجل من الأنصار.

وهناك مرويَّات أخرى عديدة عن النبي ﷺ تبيِّن أنَّ الغناء والموسيقى ليسا من المحرمات في الإسلام ما لم يصحبهما أمور منكرة غير أخلاقيَّة[٢].

٤- أمَّا الرقص فالإسلام يفرِّق فيه بين رقص المرأة ورقص الرجل، فالرقصات الشعبيَّة التي يؤديها الرجال مثلًا لا ضير فيها، وقد سمح النبي ﷺ للسيدة عائشة بمشاهدة الأحباش وهم يرقصون في يوم عيد[٣]، ورقص المرأة أمام النساء لا حرج فيه[٤]، أمَّا رقصها أمام الرجال فذلك لا يقرُّه الإسلام؛ لما فيه من محاذير كثيرة.

٥- أمَّا التمثيل فإنَّه ليس حرامًا ما دام في إطار المبدأ الأخلاقي، ولا ينكر أحد ما للتمثيل الهادف من دور فعَّال في معالجة الكثير من المشكلات

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجُمُعَةِ، بَابٌ: إِذَا فَاتَهُ العِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ، وَمَنْ كَانَ فِي البُيُوتِ وَالقُرَى، ٢/ ٢٣، حديث رقم (٩٨٧).

(٢) راجع: الشيخ محمد الغزالي، مائة سؤال عن الإسلام ج١ ص١٧٤ وما بعدها.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ أَصْحَابِ الحِرَابِ فِي المَسْجِدِ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي المَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ، أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ» ١/ ٩٨، حديث رقم (٤٥٤).

(٤) لكن مع مراعاة عدم التبرج ومراعاة الاحتشام، والتزام الآداب الاجتماعية من عدم تصوير وغيره حتى لا يطلع عليه الرجال.

والقضاء على العديد من السلبيَّات في المجتمع، ولا حرج أيضًا أن يشتمل التمثيل على ألوان من اللهو البريء، والترويح المقبول، والترفيه الذي لا يخرج عن نطاق المعقول[1]، وكذلك التصوير لا ضير فيه، بل أصبح في حياتنا المعاصرة يمثل في أحيان كثيرة ضرورة، لا غنى عنها.

٦-أمَّا النحت أو التماثيل المجسَّمة فهناك نصوص واضحة في تحريمها؛ ويَرجع السبب في تحريم الإسلام لذلك بالدرجة الأولى إلى ما يُخشى من توقير هذه التماثيل أو عبادتها، كما كان يفعل عبَّاد الأصنام قديمًا، فإذا لم يكن ذلك واردًا على الإطلاق؛ نظرًا لارتفاع درجة الوعي لدى الناس فلا ضرر منه، ولا حرج فيه؛ لانعدام سبب التحريم، غير أنَّ الإسلام -من باب سدِّ الذرائع- لا يريد أن يفتح هذا الباب؛ لما يمكن أن يترتب عليه من محاذير في أزمنة مستقبليَّة، فالإسلام يُشَرِّع لكلِّ الأجيال ولمختلف العصور، وما يُستبعد في بيئة قد يُقبل في أخرى، وما يُعتبر مستحيلًا في عصر قد يُصبح حقيقة واقعة في عصر آخر قريب أو بعيد.

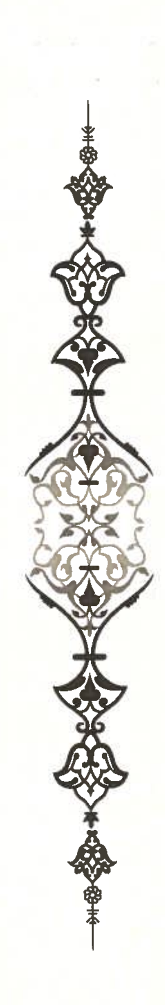
---

(١) التمثيل الذي تعرض فيه المفاتن، وتتعرىٰ فيه الأجساد، وتُخاطَب به الغرائز، وتُثار به الشهوات، وتُنتهك به المحرَّمات، وتُرتكب فيه الموبقات، هو حرام، يجب مواجهته، وتقويم اعوجاجه؛ حفاظًا علىٰ قيمنا وأخلاقنا، وصيانة لشبابنا وفتياتنا من الانحلال الخلقي، ينظر: [مجلة الأزهر الجزء السابع، المجلد التاسع والعشرون، رجب ١٣٧٧هـ/ يناير ١٩٥٨م، «حكم الشريعة الإسلاميَّة في الصورة العارية»، ص٥٧٨، ومجلة الأزهر، المجلد الثامن عشر، «إنما الأمم الأخلاق»، مقال لفضيلة الشيخ محمد محمد الأودن، ص٥٧٦.



الفصل الخامس

الإسلام وقضايا المرأة



الإسلام وقضايا المرأة

أولاً: هل صحيح أنَّ الإسلام يظلم المرأة، ويهضم حقوقها؟

١ - عندما جاء الإسلام كانت الأوضاع التي تعيش المرأة في ظلِّها أوضاعًا سيئة؛ فلم يكن لها حقوق تُحترم، أو رأي يُسمع، فانتشلها الإسلام من هذه الأوضاع السيئة، وأعلى مكانتها، ورفع عنها الكثير من الظلم الذي كانت تتعرض له، وجعلها تشعر بكيانها كإنسان، مثل الرجل سواء بسواء، وضمن لها حقوقها المشروعة، وأسقط عنها تهمة إغواء آدم في الجنة بوصفها أصل الشر في العالم، وبيَّن أنَّ الشيطان هو الذي أغوى آدم وحواء معًا، كما يقول القرآن: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].

٢ - يقرِّر الإسلام أنَّ الناس جميعًا: رجالًا، ونساء، قد خُلقوا من نفس واحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، فالرجل والمرأة متساويان تمامًا في الاعتبار الإنساني، وليس لأي منهما ميزة على الآخر في هذا الصدد، والكرامة التي منحها الله للإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، هي كرامة للرجل والمرأة على السواء، وعندما يتحدث القرآن الكريم عن الإنسان أو عن بني آدم فإنَّه يقصد الرجل والمرأة معًا، أمَّا إذا أراد أن يتحدث عن أي منهما وحده فإنَّه يستخدم مصطلح «الرجال»، ومصطلح «النساء».

٣ - وصف النبي ﷺ العلاقة بين الرجل والمرأة بقوله: «النساء شقائق الرجال؛ لهن مثل الذي عليهن بالمعروف»(١). والوصف بكلمة «شقائق» يوضح لنا المساواة والنِّدِّيَّة، والرجال والنساء أمام الله سواء، لا فرق بينهما إلا في العمل الصالح الذي يقدِّمه كلٌّ منهما، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

والله يستجيب لدعاء المرأة كما يستجيب لدعاء الرجل، ولا يضيع العمل الصالح لأيٍّ منهما كما يقول القرآن الكريم: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، والتعبير القرآني بقوله: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ يدل على أنَّ كلًّا منهما مكمِّل للآخر، وأنَّ الحياة لا يمكن أن تستقرَّ دون مشاركتهما معًا.

٤ - هل بعد هذا الموقف المبدئي للإسلام من المرأة من خلال النصوص القاطعة من مصدري الإسلام -القرآن والسنة- يستطيع إنسان منصف أن يتهم الإسلام باضطهاد المرأة، وهضم حقوقها؟ إن هناك -في حقيقة الأمر- خلطًا ظالمًا بين الإسلام كدين له تعاليمه السمحة، وبين عادات وتقاليد بالية وسلوك سيئ لبعض المسلمين إزاء المرأة، والحكم الموضوعي على الإسلام ومواقفه ينبغي أن يفرِّق بين الأمرين، فالوضع المتدني للمرأة في بعض المجتمعات الإسلاميَّة يرجع إلى الجهل المنتشر في هذه المجتمعات، وليس نتيجة لتعاليم الإسلام.

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، ١/ ١٠٥، حديث رقم (٢٣٦).

ثانيًا: هل المرأة تابعة للرجل دائمًا؟

١ - لقد أعطى الإسلام للمرأة استقلالها التام عن الرجل في الناحية الاقتصاديَّة؛ فلها مطلق الحريَّة في التصرف فيما تملك بالبيع والشراء والهبة والاستثمار ... إلخ، دون إذن من الرجل، ما دامت لها أهليَّة التصرف، وليس لزوجها ولا لغيره من أقاربها من الرجال أن يأخذ من مالها شيئًا إلا بإذنها.

٢ - لا يجوز للرجل حتى ولو كان الأب أن يجبر ابنته على الزواج من رجل لا تحبه، فالزواج لا بد أن يكون بموافقتها وبرضاها، وقد جاءت فتاة إلى النبي ﷺ تشكو أنَّ أباها زوَّجها من ابن أخ له؛ ليرفع بذلك من مكانته، وهي له كارهة، فاستدعى النبي ﷺ الأب، وجعل للفتاة حريَّة الاختيار: إمَّا رفض هذا الزواج أو قبوله، فقررت بمحض إرادتها قبول هذا الزواج وقالت: «يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ: أَلِلنِّسَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ؟»[1]، أي: ليس للآباء سلطة إكراه بناتهم على الزواج.

٣ - المرأة شريكة للرجل في الأسرة، وفي تربية الأطفال، ولا يُعقل أن تستقيم حياة أسرة دون مشاركة إيجابيَّة من الطرفين، وإلا اختلت

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، بَابُ اسْتِئْذَانِ الْبِكْرِ فِي نَفْسِهَا، الْبِكْرُ يُزَوِّجُهَا أَبُوهَا وَهِيَ كَارِهَةٌ، ٥/ ١٧٧، حديث رقم(٥٣٦٩)، ونصه: عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ فَتَاةً، دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: «إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي ابْنَ أَخِيهِ؛ لِيَرْفَعَ بِي خَسِيسَتَهُ، وَأَنَا كَارِهَةٌ، قَالَتْ: اجْلِسِي حَتَّىٰ يَأْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ أَبِيهَا «فَدَعَاهُ فَجَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهَا»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَجَزْتُ مَا صَنَعَ أَبِي، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ أَلِلنِّسَاءِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ؟».

موازين الأسرة، وانعكس أثر ذلك سلبًا على الأطفال، وقد حمَّل النبي ﷺ كلًّا من الرجل والمرأة هذه المسئوليَّة المشتركة، عندما قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ؛ فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ»[1]، وإسناد المسئوليَّة هنا للمرأة ينفي تمامًا تهمة تبعيَّة المرأة الدائمة للرجل، فليست هناك مسئوليَّة دون حريَّة، والحريَّة لا تتفق مع التبعيَّة.

٤ - لا يجوز للرجل أن يمنع المرأة من حقوقها المشروعة في الحياة، ولا يجوز له أن يمنعها من التردد على المسجد للعبادة.

وقد ورد عن النبي ﷺ في ذلك قوله: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ»[2]، وإذا كان بعض المسلمين -استنادًا إلى تقاليد بالية، وأعراف باطلة- لا يلتزم بهذه المواقف الإسلاميَّة نحو المرأة، فإنَّ ذلك يُعَدُّ جهلًا بالإسلام وأحكامه، أو سوء فهم لتعاليمه الواضحة.

ثالثًا: لماذا تأخذ المرأة نصيبًا أقل من الرجل في الميراث؟

١ - لقد كانت المرأة قبل الإسلام محرومة من حقِّها في الميراث، فأنصفها الإسلام، وجعل لها حقًّا مقرَّرًا فيه، على الرغم من تذمُّر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:٦]، ٧/ ٢٦، حديث رقم (٥١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجُمُعَةِ، بَابُ هَلْ عَلَى مَنْ لَمْ يَشْهَدِ الجُمُعَةَ غُسْلٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَغَيْرِهِمْ، ٢/ ٦، حديث رقم (٩٠٠).

الكثيرين من العرب حينذاك ممن كانوا يعتقدون أنَّ الرجال وحدهم هم الأحقُّ بالميراث؛ لأنهم هم الذين يقاتلون الأعداء.

وقد جعل الإسلام في بعض الحالات للذكر ضعف نصيب الأنثى في الميراث، كما جاء ذلك في القرآن الكريم: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[النساء: ١١]، والنظرة المتعجلة للأمور ربما تعتبر ذلك انتقاصًا من شأن المرأة، وهضمًا لحقِّها كإنسان له حقوق متساوية مع الرجل، والواقع أنَّ الإسلام أبعد ما يكون عن أن يجعل من ذلك مبررًّا للنظر إلى المرأة نظرة متدنيَّة، فسبب هذه التفرقة في الميراث لا صلة له إطلاقًا بمكانة كلٍّ من الرجل والمرأة، ولكنه يرجع إلى الالتزامات التي تقع على كاهل كلٍّ منهما.

٢ - فالإسلام يُلزِم الرجل بالإنفاق على زوجته وأفراد أسرته، وفي الوقت نفسه لا يُلزِم المرأة بأي التزامات مالية لغيرها، فإذا قمنا بعمليَّة حسابيَّة بسيطة سيتضح لنا أنَّ المرأة عندما تأخذ نصف ما يأخذه الرجل من الميراث فإنَّها تكون في وضع مالي أفضل من وضع الرجل؛ وذلك لأنَّ ما يأخذه الرجل يجب عليه شرعًا أن ينفق منه على زوجته وأسرته من البنين والبنات، وعلى أمِّه وأبيه إذا لم يكن لهما مورد رزق، وعلى أخواته إذا لم يكن لهن عائل، ومعنى هذا أنَّ ما يأخذه الرجل من ميراث يكون في تناقص مستمر؛ بسبب هذه الالتزامات الكثيرة، أمَّا المرأة فإنَّها لا تُسأل إلا عن نفسها، وهي حرة في ميراثها؛ حيث تستطيع أن تنميه في استقلال تام عن الرجل، وليس عليها أي التزامات ماليَّة تجاه أفراد

الأسرة، وزوجها ملزَم بنفقتها، حتى وإن كانت ذات ثراء، وهذا يعني أنَّ ميراثها سيكون في ازدياد مستمر.

ومن ذلك يتضح أنَّه ليس هناك ظلم للمرأة على الإطلاق، أو انتقاص من شأنها، بل لعل الميزان هنا يميل إلى صالحها.

والأمر الذي يجب أن نشير إليه في هذا الصدد هو أنَّ توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفًا عامًّا، ولا قاعدة مطردة في توريث الإسلام لكلِّ الذكور وكلِّ الإناث، فالقرآن لم يقل: يوصيكم الله في المواريث والوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين، وإنَّما قال: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [النساء: ١١]، وهناك فرق واضح بين التعبيرين.

واستقراء حالات ومسائل الميراث يكشف لنا عن حقيقة مغايرة تمامًا لما استقر في الأذهان بشأن ميراث المرأة، وما يرتبط بذلك خطأ من الانتقاص من أهليتها، فحالات الميراث بناءً على هذا الاستقراء تبيِّن أنَّ هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف ميراث الرجل، وهناك أكثر من ثلاثين حالة ترث فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه، أو ترث هي، ولا يرث نظيرها من الرجال، في مقابل أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل.

ومن بين الأمثلة العديدة على ذلك أنه في حالة ما إذا مات رجل أو امرأة وليس له أو لها والد أو ولد ذكرًا كان أو أنثى، وله أو لها أخ وأخت، من أم؛ ففي هذه الحالة يستوي الأخ والأخت في الميراث، كما

أنَّ الزوج إذا ماتت زوجته ولها بنت منه أو من غيره ترث البنت ضعف نصيب الزوج، وهكذا في حالات أخرى، وهذه الأنصبة محددة في القرآن الكريم، وتقضي على جميع أشكال المنازعات بين أفراد الأسرة، ودار الإفتاء المصريَّة تشهد بأنَّ كثيرًا من الأقباط في مصر يحتكِمون إلى نظام المواريث الإسلاميَّة؛ لما له من أثر كبير في حسم المنازعات والقضاء على أسباب الخلاف بين المستحقين للميراث.

رابعًا: لماذا الانتقاص من شأن المرأة في الشهادة؟

١ – يذهب القائلون بهذه الشبهة إلى الزعم بأنَّ الإسلام قد انتقص من أهليَّة المرأة بجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل، وهذا زعم باطل، واتهام غير صحيح، ومصدر هذه الشبهة هو الخلط بين الشهادة وبين الإشهاد الذي تتحدث عنه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فالشهادة التي يعتمد عليها القضاء معيارها تحقق اطمئنان القاضي لصدق الشهادة، بصرف النظر عن جنس الشاهد ذكرًا كان أو أنثى، وبصرف النظر عن عدد الشهود: «فللقاضي إذا اطمأن ضميره إلى ظهور البينة أن يعتمد شهادة رجلين أو امرأتين، أو رجل وامرأة، أو رجل وامرأتين، أو امرأة ورجلين، أو رجل واحد، أو امرأة واحدة، ولا أثر للذكورة أو الأنوثة في الشهادة التي يحكم القضاء، بناء على ما تقدمه له البينات».

٢ - أمَّا الآية المشار إليها فإنَّها تتحدث عن أمر آخر غير الشهادة أمام القضاء، إنَّها تتحدث عن «الإشهاد» الذي يقوم به صاحب الدين للاستيثاق من الحفاظ على ديْنه، وذلك على سبيل النصح والإرشاد لصاحب الدين، وليس تشريعًا موجَّهًا إلى القاضي الحاكم في القضايا والنزاعات، وقد أكَّد هذا الفهم عدد من العلماء الثقات المجتهدين قديمًا وحديثًا، مثل: ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ/ محمد عبده، والشيخ/ شلتوت، وغيرهم.

يقول ابن القيم: «وليس في القرآن ما يقتضي أنَّه لا يحكم إلا بشاهدين، أو شاهد وامرأتين؛ فإنَّ الله -سبحانه- إنَّما أمر بذلك أصحاب الحقوق أن يحفظوا حقوقهم بهذا النصاب [الذي نصَّت عليه الآية]، ولم يأمر بذلك الحكام أن يحكموا به، فضلًا عن أن يكون قد أمرهم ألَّا يقضوا إلا بذلك»[1].

٣ - وحتى في مجال الإشهاد الذي تحدثت عنه الآية المشار إليها معلِّلة شهادة امرأتين بدلًا من امرأة واحدة باحتمال أن تنسى إحداهما فتذكرها الأخرى ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢]، لا يجوز أن يُفهم من ذلك أنَّ النسيان طبع في النساء، أو أمر حتمي في كلِّ أنواع الشهادات التي تمارسها المرأة، وإنما هو أمر يتعلق بالخبرة والمِران، أي إنَّه من الأمور التي يطرأ عليها التطور والتغيير.

ومن هنا فإنَّه عند توافر الخبرة للمرأة في موضوع الإشهاد فإن شهادتها في هذه الحالة تكون مساوية لشهادة الرجل؛ ولذلك أرجع الشيخ/ محمد

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ١/ ٣٥٩.

عبده السبب في شهادة امرأتين على الدَّيْنِ إلى أنَّه لم يكن من شأن المرأة الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات والأعمال التجارية؛ فلذلك تكون ذاكرتها ضعيفة في هذه الأمور، وقد كان ذلك واقعًا تاريخيًّا خاضعًا للتطور والتغيير، وليس طبيعة في النساء على مر العصور.

ومن ذلك يتضح أنَّ هذه الشبهة لا محلَّ لها أصلًا، وأنَّ الفهم الضيق للنصوص القرآنيَّة من شأنه أن يُوقِع في أخطاء فوق أخطاء، وبالتالي يسيء إلى الإسلام وتعاليمه السمحة ومبادئه السامية.

خامسًا: ما موقف الإسلام من ولاية المرأة للمناصب العليا؟

١ - الإسلام لا يمنع المرأة من تولي مناصب عليا في الدولة، فلها أن تشغل من المناصب ما يتلاءم مع طبيعتها ومع خبراتها وكفاءتها ومؤهلاتها، أمَّا الحديث النبوي الذي اعتمد عليه الفقهاء في عدم جواز تولي المرأة وظائف عامَّة، وهو: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»[1]، فإنَّ له مناسبة خاصَّة، فعندما بَلَغَ النبي ﷺ أنَّ أهل فارس ملَّكوا عليهم بنت كسرى قال هذا الحديث، وقد استنتج منه الفقهاء أنَّ المرأة لا تلي على الرجال ولاية عامَّة بمعنى رئاسة الدولة أو الخلافة، ولكن لا يجوز أن يغيب عن ذهننا أنَّ القرآن الكريم قد أثنى على ملكة سبأ في سورة النمل، وامتدح حكمتها في معالجة الأمور، وهذا أمر له دلالة مهمة تعبِّر عن مدى تقدير القرآن الكريم للمرأة وكفاءتها، وحسن تصرفها وهي في أعلى منصب في الدولة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ الفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، ٩/ ٥٥، حديث رقم (٧٠٩٩).

٢ – لقد نظر كثيرون من علماء الإسلام في مختلف العصور الإسلاميَّة إلى عمل المرأة نظرة تقدميَّة، فقد قال الإمام ابن حزم بجواز أن تتولى المرأة الحكم، وهذا هو أيضًا رأي الإمام أبي حنيفة صاحب المذهب الفقهي المشهور، أمَّا الإمام ابن جرير الطبري فقد أجاز أن تتولى المرأة القضاء في كلِّ شيء يجوز للرجل أن يقضي فيه دون استثناء، وقد رُوي أنَّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد ولَّى الشفاء بنت عبد الله المخزوميَّة قضاء الحِسبة على سوق المدينة، وهي وظيفة دينيَّة مدنيَّة تتطلب الخبرة والصَّرامة[1].

٣ – وإذا كان الإسلام لا يَحرِم المرأة من حقِّها في تولي مناصب عليا في الدولة ما دامت أهلًا لذلك فإنَّه ينبغي ألا يطغى نشاط المرأة خارج البيت على قيامها بمسئوليَّتها الأساسية نحو أسرتها من أطفال وزوج، فالأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإذا انهارت كان ذلك إيذانًا بانهيار المجتمع من أساسه، والمطلوب –إذن– هو المواءمة بين عمل المرأة خارج البيت ومسئوليَّتها في البيت من أجل مصلحة المجتمع كلِّه.

سادسًا: ما موقف الإسلام من حجاب المرأة، وحقِّها في التعليم والعمل؟

١ – الحجاب الذي يفرضه الإسلام على المرأة لا يَطلب منها غير الاحتشام في ملابسها ومظهرها؛ حتى لا تتعرض للمضايقات من جانب الرجل، فالحجاب هنا صيانة للمرأة وحماية لها، وليس قيدًا عليها من

---

(١) راجع: محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام ج ٢ ص ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٦.

شأنه أن يشل حركتها، ولا يعني الحجاب إخفاء الوجه أو إخفاء اليدين في قفاز فهذا ليس من تعاليم الإسلام، وإنما يرجع إلى عادات وتقاليد في بعض المجتمعات ليس الإسلام مسئولًا عنها.

والحجاب كما هو من الفضائل في الإسلام هو كذلك -ولا يزال- من الفضائل في الديانة المسيحيَّة، والدليل على ذلك ما ترتديه الراهبات المسيحيَّات من ملابس تغطي كلَّ جسم المرأة وشعرها، ولا يظهر منها غير الوجه والكفيَّن، والإنجيل يطلب من المرأة أن تغطي شعرها في الصلاة [1].

وعندما يستقبل بابا الفاتيكان سيدة سواء كانت زوجة لرئيس دولة غربيَّة أو نجمة مشهورة تجدها تغطي شعرها.

٢ - والإسلام لا يمنع المرأة من حقِّها في التعليم، بل العكس هو الصحيح، وهو أنَّه يجعل طلب العلم فريضة وأمرًا واجبًا على الرجل والمرأة على السواء، كما جاء ذلك في حديث النبي ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[2]، وتاريخ المسلمين يعرف أسماء الكثيرات من النساء اللاتي نبغن في علوم الدين وفنون الشعْر والأدب، وعندما تزوج النبي السيدة حفصة -وكانت قد تعلمت مبادئ القراءة والكتابة- استقدم لها الشفاء العدويَّة؛ لتعلمها تحسين الخط وتزيينه، استكمالًا لتعليمها القراءة والكتابة، وكانت السيدة عائشة زوجة الرسول أفقه في أمور الدين،

---

(١) راجع الإصحاح الحادي عشر من رسالة بولس الرسول الأولىٰ إلىٰ أهل كورنتوس.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَىٰ طَلَبِ الْعِلْمِ ١/ ٨١، حديث رقم(٢٢٤).

وأعلم من كثير من الصحابة، وقد أوصى الرسول نفسه بالأخذ عنها في أمور الدين.

٣ - والإسلام لا يمنع المرأة أيضًا من العمل، فمن حقِّها أن تعمل طالما كانت في حاجة إلى العمل، ولها أن تختار العمل المناسب لقدراتها وكفاءتها ومؤهلاتها، ولا توجد نصوص دينيَّة تمنع المرأة من حقِّها في التعليم أو العمل، وقد كانت المرأة حتى في عهد الرسول تقوم بالكثير من الأعمال والمهام المختلفة، سواء في مساعدة الجيوش، أو مداواة الجرحى، أو غير ذلك من أعمال اقتضتها طبيعة المرحلة آنذاك.

٤ - ينبغي التفريق بين تعاليم الإسلام الواضحة في صيانة وحماية المرأة، وبعض التقاليد البالية والعادات السيئة التي تعوق تقدم المرأة وتقف حائلًا بينها وبين حقِّها في التعليم والعمل في بعض المجتمعات الإسلاميَّة، فهذه ليست من الإسلام في شيء، إنَّ الإسلام الذي كرَّم المرأة يهمه أن تنمي المرأة شخصيتها، فذلك من شأنه أن يجعلها أقدر على تربية أولادها وبناتها، والإسهام بذلك في بناء جيل قوي، يعمل على تطوير مجتمعه، وتقدمه، وازدهاره.

سابعًا: هل الحجاب لا يتناسب مع الحياة العصريَّة؟

١ - كلُّ أُمَّة من الأمم لها طابعها الخاص، ولها تقاليدها المرعية في الأكل والشرب والملبس والمسكن ... إلخ، وكلُّ ذلك يعبر عن ثقافة الأُمَّة وحضارتها وعقائدها، وقد خلق الله الناس مختلفين في كثير من الأمور، وسيظل هذا الاختلاف إلى نهاية الدنيا وما يصلح لأمة قد لا

يصلح لأمة أخرى، فالمرأة الهنديَّة مثلًا لها زي خاص بها (الساري)، ولا يعيب عليها أحد ذلك حتى في البلاد الغربيَّة، رغم أنَّه زي قد يكون غير عملي، ولكن تلبسه المرأة العادية في الهند كما كانت ترتديه رئيسة الوزراء الهنديَّة أنديرا غاندي، ولم يقل أحد: إنَّ هذا الزي يعوق المرأة الهنديَّة عن العمل والإنتاج.

٢ - المرأة الأوروبيَّة كانت حتى بدايات القرن العشرين -في الأعم الأغلب- تغطي شعرها، وتلبس الملابس الطويلة، ولم يعِب عليها أحد ذلك، ولكنها بدأَت تطور من زيها إلى أن وصل الأمر الآن إلى الوضع الحالي هناك، الذي لم يعد يلتزم بأي قواعد أو معايير، وربما يتغير ذلك بعد فترة؛ بناء على ما تقرره بيوت الأزياء هناك.

٣ - أمَّا المرأة المسلمة فإنَّ الإسلام لا يَطلب منها في ملبسها مواصفات معينة أكثر من الاحتشام في مظهرها؛ حتى لا تكون مثارًا للإغراء، وعُرضة للمضايقات من جانب الرجل، وليس صحيحًا أنَّ هذا الزي الإسلامي يعوق المرأة عن العمل والإنتاج، ففي كلِّ مؤسسات الدولة نجد كثيرات من النساء في أعمار مختلفة يلتزمن بالزي الإسلامي، ويمارسن أعمالهن بطريقة عادية مثل زميلاتهن من غير المحجبات، فهذه التهمة قائمة على غير أساس معقول، ولم يقم أحد بإجراء دراسة علميَّة تثبت هذا الزعم.

إنَّ كلَّ ما في الأمر أنَّ الغربيين يودون أن يروا قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم تحظى بالسيادة في كلِّ مكان، وهذا ضد طبيعة الأشياء، فكلُّ أُمَّة لها شخصيتها المتميزة، ومن حقِّ المرأة المسلمة أن تكون لها شخصيتها

وسماتها المميزة في الملبس والسلوك، كما للمرأة الهنديَّة والأوروبيَّة هذا الحق أيضًا.

٤ - هناك نساء مسلمات في عصرنا الحاضر يتقلدن أعلى المناصب، ويقمن بعملهن خير قيام رغم ارتدائهن للزي الإسلامي، فالسيدة «بنظير بوتو» -التي كانت ترأس حكومة دولة من أكبر الدول الإسلاميَّة[1]- ترتدي زيًّا قريبًا جدًّا من الزي الإسلامي، وتؤدي دورها على خير وجه، ولا يعوقها ذلك عن أداء واجباتها، وكذلك الشأن بالنسبة لرئيسة حكومة بنجلاديش[2] التي ترتدي زيًّا مشابهًا.

ثامنًا: لماذا أباح الإسلام تعدد الزوجات؟

١ - لم يكن الإسلام أول دين يبيح تعدد الزوجات، ولم يبتكر هذا النظام، بل كان أول دين ينظم شئون الزواج، ويحدد تعدد الزوجات بقيود شديدة وشروط قاسية، وعندما جاء الإسلام كان تعدد الزوجات مباحًا بلا حدود، ليس فقط لدى العرب، بل لدى شتى الأمم بشكل أو بآخر، والإسلام في تشريعاته الجديدة كان يتبع أسلوب التدرج في القضاء على العادات السيئة السائدة في المجتمع، فمن الصعب القضاء على عادات

---

(١) بِنَظِير بُوتُو (١٩٥٣ - ٢٠٠٧م)، رئيسة وزراء باكستان مرتين، وهي أول امرأة في بلد مسلم تشغل منصب رئيس الوزراء، سياسية باكستانيَّة وابنة السياسي ورئيس باكستان السابق ذو الفقار علي بوتو، من مواليد مدينة كراتشي بإقليم السند.

(٢) الشيخة حسينة واجد، (مواليد ١٩٤٧م) هي سياسيَّة بَنْجاليَّة ورئيسة وزراء بنغلاديش العاشرة من ١٩٩٦ إلى ٢٠٠١، ومرة أخرى منذ ٢٠٠٩. وهي ابنة الشيخ/ مجيب الرحمن الأب المؤسس وأول رئيس لبنغلاديش. بعد أن خدمت لأكثر من ٢٠ عامًا، فهي رئيسة الوزراء الأطول خدمة في تاريخ بنغلاديش. اعتبارًا من ٢٣ يوليو ٢٠٢٤ أصبحت رئيسة الحكومة الأطول خدمة في العالم.

وتقاليد متأصلة منذ عصور سحيقة دفعة واحدة، ومن هنا وجدنا هذا التدرج أيضًا في قضية تعدد الزوجات.

٢ - حدد الإسلام عدد الزوجات الذي كان مطلقًا بلا حدود بأربع زوجات، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء:٣]، ولكن هذا التحديد بأربع فقط لم يكن مطلقًا، بل كان مشروطًا بشرط أساسي، وهو ضرورة العدل بين الزوجات، وهذا يعني عدم التفريق في المعاملة بينهن في كلِّ الأمور، وقد حذَّر النبي من عدم الالتزام بهذا الشرط فقال: « مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ، يَمِيلُ مَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ »[1].

٣ - نبَّه القرآن الكريم إلى أنَّ العدل بين الزوجات من الأمور التي يصعب تحقيقها، وأنَّ الإنسان مهما حاول فلن يستطيع أن يقيم موازين العدل كاملة بين الزوجات، ويصرح القرآن بذلك في قوله: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء:١٢٩].

وإذا كان الأمر كذلك، وهو أنَّ العدل متعذر بين الزوجات، فإنَّ على الرجل في هذه الحالة أن يكتفي بزوجة واحدة، وقد ورد ذلك في صراحة ووضوح في القرآن الكريم: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾[النساء:٣]، وقد جاء هذا التشريع الإسلامي منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان[2].

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب النِّكَاحِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ النِّكَاحِ، ٣/ ١٤٣، حديث رقم (١٩٦٩).

(٢) لمزيد من التوضيح في مسألة تعدد الزوجات، والعدل بينهن ينظر: الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ/ محمود شلتوت، دار الشروق الطبعة الحادية والعشرون، ٢٠١٥م، ص ١٧٧.

٤-من ذلك يتبيَّن أنَّ الإسلام لم يفرض الزواج بأربع، ولم يخترع التعدد، فقد كان هذا واقعًا قائمًا، أراد الإسلام أن يعالجه بحكمة، ودون إحداث هزة عنيفة في المجتمع، وهذا يوضح لنا أنَّ الأصل في الإسلام هو الزواج بواحدة، وأنَّ التعدد هو الاستثناء(١)، وإن كان الإسلام قد أبقى على هذا الاستثناء لمبررات معقولة ولمعالجة حالات خاصة، ومن ذلك على سبيل المثال في أوقات الحروب، حيث يموت الكثيرون من الرجال في ميادين القتال، وتظل الكثيرات من النساء بلا عائل؛ فتلك حالة استثنائيَّة لجواز التعدد، حماية للنساء من الانحراف.

كما أنَّه قد تمرض المرأة مرضًا مزمنًا، تعجز فيه عن القيام بواجباتها الزوجيَّة، أو تكون غير قادرة على الإنجاب، فحماية للزوج من الانحراف يباح له الزواج بامرأة أخرى، تتساوى مع الزوجة الأولى في جميع الحقوق، وإذا كان الإسلام قد أبقى على هذا الاستثناء فإنَّه بذلك يقضي أيضًا على خطر التعدد غير المشروع، وما يترتب عليه من آثار، وهو التعدد الذي لا يعترِض عليه العالم الغربي.

تاسعًا: هل تحريم زواج المسلمة بغير مسلم يُعَدُّ نزعة عنصريَّة؟

١ - صحيح أنَّ الإسلام يجيز زواج المسلم من غير المسلمة -مسيحيَّة، أو يهوديَّة- ولا يجيز زواج المسلمة من غير المسلم، وللوهلة الأولى يُعَدُّ ذلك من قبيل عدم المساواة، ولكن إذا عُرف السبب الحقيقي لذلك انتفى العجب، وزال وهم انعدام المساواة، فهناك وجهة نظر إسلاميَّة في

(١) للشيخ/ محمود شلتوت رَحِمَهُ اللَّهُ رأي في هذه المسألة، ينظر: الإسلام عقيدة وشريعة، ص ١٧١.

هذا الصدد توضح الحكمة في ذلك، وكلُّ تشريعات الإسلام مبنية على حكمة معينة، ومصلحة حقيقيَّة لكلِّ الأطراف.

٢ - الزواج في الإسلام يقوم على المودة والرحمة والسكن النفسي، ويحرص الإسلام على أن تُبنى الأسرة على أسس سليمة، تضمن الاستمرار للعلاقة الزوجيَّة، والإسلام دين يحترم كلَّ الأديان السماويَّة السابقة، ويجعل الإيمان بالأنبياء السابقين جميعًا جزءًا لا يتجزأ من العقيدة الإسلاميَّة، وإذا تزوج مسلم من مسيحيَّة أو يهوديَّة فإنَّ المسلم مأمور باحترام عقيدتها، ولا يجوز له -من وجهة النظر الإسلاميَّة- أن يمنعها من ممارسة شعائر دينها، والذهاب من أجل ذلك إلى الكنيسة أو المعبد، وهكذا يحرص الإسلام على توفير عنصر الاحترام من جانب الزوج لعقيدة زوجته وعبادتها، وفي ذلك ضمان وحماية للأسرة من الانهيار.

٣ - أمَّا إذا تزوج غير مسلم من مسلمة فإنَّ عنصر الاحترام لعقيدة الزوجة يكون مفقودًا؛ فالمسلم يؤمن بالأديان السابقة، وبأنبياء الله السابقين، ويحترمهم ويوقرهم، ولكن غير المسلم لا يؤمن بنبي الإسلام، ولا يعترف به، بل يعتبره نبيًّا زائفًا، ويُصدق -في العادة- كل ما يشاع ضد الإسلام، وضد نبي الإسلام من افتراءات وأكاذيب، وما أكثر ما يشاع.

وحتى إذا لم يصرح الزوج غير المسلم بذلك أمام زوجته، فإنها ستظل تعيش تحت وطأة شعور عدم الاحترام من جانب زوجها لعقيدتها، وهذا أمر لا تجدي فيه كلمات الترضية والمجاملة، فالقضية قضية مبدأ، وعنصر الاحترام المتبادل بين الزوج والزوجة أساس لاستمرار العلاقة الزوجيَّة.

٤-وقد كان الإسلام منطقيًّا مع نفسه حين حرَّم زواج المسلم من غير المسلمة التي تدين بدين غير المسيحيَّة واليهوديَّة؛ وذلك لنفس السبب الذي من أجله حرَّم زواج المسلمة بغير المسلم.

فالمسلم لا يؤمن إلا بالأديان السماويَّة، وما عداها تُعَدُّ أديانًا بشريَّة، فعنصر التوقير والاحترام لعقيدة الزوجة في هذه الحالة -بعيدًا عن المجاملات- يكون مفقودًا، وهذا يؤثر سلبًا على العلاقة الزوجيَّة، ولا يحقق المودة والرحمة المطلوبة في العلاقة الزوجيَّة.





الفصل السادس

قضايا حريَّة الاعتقاد، ووحدة الأُمَّة، والتخلف



قضايا حريَّة الاعتقاد ووحدة الأُمَّة والتخلف

أولًا: هل صحيح أنَّ الإسلام ضد حريَّة الاعتقاد؟

١ - لقد كفل الإسلام للإنسان حريَّة الاعتقاد، وجاء ذلك في وضوح تام في القرآن الكريم: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فلا يجوز إرغام أحد على ترك دينه، واعتناق دين آخر، فحريَّة الإنسان في اختيار دينه هي أساس الاعتقاد، ومن هنا كان تأكيد القرآن على ذلك تأكيدًا لا يقبل التأويل في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

٢ - إقرار الحريَّة الدينيَّة يعني الاعتراف بالتعدديَّة الدينيَّة، وقد أكَّد ذلك النبي ﷺ في أول دستور للمدينة؛ حينما اعترف لليهود بأنهم يشكلون مع المسلمين أُمَّة واحدة.

ومن منطلق الحريَّة الدينيَّة التي يضمنها الإسلام كان إعطاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للمسيحيين من سكان القدس الأمان «على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يضار أحد منهم، ولا يرغم؛ بسبب دينه».

٣ - لقد كفل الإسلام أيضًا حريَّة المناقشات الدينيَّة على أساس موضوعي، بعيد عن المهاترات أو السخرية من الآخرين، وفي ذلك يقول القرآن: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وعلى أساس هذه المبادئ السمحة ينبغي أن يكون الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، وقد وجَّه القرآن هذه الدعوة إلى الحوار إلى أهل الكتاب فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]، ومعنى هذا أنَّ الحوار إذا لم يصل إلى نتيجة فلكلٍّ دينه الذي يقتنع به، وهذا ما عبَّرت عنه أيضًا الآية الأخيرة من سورة (الكافرون)، التي ختمت بقوله تعالى للمشركين على لسان النبي ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

٤ - الاقتناع هو أساس الاعتقاد: فالعقيدة الحقيقيَّة هي التي تقوم على الإقناع واليقين، وليس على مجرد التقليد أو الإرغام، وكلُّ فرد حرٌّ في أن يعتقد ما يشاء، وأن يتبنى لنفسه من الأفكار ما يريد، حتى ولو كان ما يعتقده أفكارًا إلحاديَّة، فلا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك طالما أنه يحتفظ بهذه الأفكار لنفسه، ولا يؤذي بها أحدًا من الناس، أمَّا إذا حاول نشر هذه الأفكار التي تتناقض مع معتقدات الناس، وتتعارض مع قيمهم التي يدينون لها بالولاء، فإنَّه بذلك يكون قد اعتدى على النظام العام للدولة بإثارة الفتنة والشكوك في نفوس الناس، وأي إنسان يعتدي على النظام العام للدولة في أي أُمَّة من الأمم يتعرض للعقاب، وقد يصل الأمر في ذلك إلى حد تهمة الخيانة العظمى، التي تعاقب عليها معظم الدول بالقتل، فقتل المرتد في الشريعة الإسلاميَّة ليس لأنَّه ارتد فقط،

ولكن لإثارته الفتنة والبلبلة وتعكير النظام العام في الدولة الإسلاميَّة، أمَّا إذا ارتد بينه وبين نفسه دون أن ينشر ذلك بين الناس ويثير الشكوك في نفوسهم فلا يستطيع أحد أن يتعرض له بسوء، فالله وحده هو المطلع على ما تخفي الصدور.

وقد ذهب بعض العلماء المحدثين إلى أنَّ عقاب المرتد ليس في الدنيا، وإنما في الآخرة، وأنَّ ما حدث من قتل للمرتدين في الإسلام بناء على بعض الأحاديث النبويَّة فإنَّه لم يكن بسبب الارتداد وحده، وإنما بسبب محاربة هؤلاء المرتدين للإسلام والمسلمين[1]، وهذه وجهة نظر معقولة وجديرة بالاعتبار.

ثانيًا: هل موقف المسلمين من سلمان رشدي ضد حريَّة التعبير؟

١ - حريَّة التفكير والتعبير مكفولة في الإسلام بلا حدود، فالكون كلُّه بسمائه وأرضه وما بينهما مجال لذلك بنص القرآن: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقد عاب القرآن على الذين يعطلون قواهم العقليَّة والحسيَّة عن أداء وظيفتها، وجعلهم في مرتبة أحط من مرتبة الحيوانات، والقرآن الكريم يشتمل على عشرات الآيات التي تحض على العلم، وتعلي من شأن العقل، وتجعل من عمارة الأرض تكليفًا إلهيًّا للإنسان، ومن التفكير

---

(١) راجع: الحرية الدينيَّة في الإسلام، للشيخ/ عبد المتعال الصعيدي ص٣، ٧٢، ٧٣، ٨٨- دار الفكر العربي-الطبعة الثانية (دون تاريخ)، وقد نشرت دار المعارف هذا الكتاب في طبعة جديدة في السنوات الأخيرة.

واجبًا دينيًّا[١]، فالبحث العلمي مطلوب، وحريَّة التعبير مصانة طالما كان ذلك من أجل خير الإنسان، وهذا هو الموقف المبدئي للإسلام في قضية حريَّة البحث وحريَّة التفكير والتعبير.

٢ - من المعلوم أنَّ لكلِّ أُمَّة مقدسات تعتز بها، ومعتقدات تسري في كيانها، وقيمًا تحرص عليها، وذلك كلُّه له تأثيره القوي في تكوين شخصية الأُمَّة، وصياغة ثقافتها، والاعتداء على هذه المقدسات بالقول أو بالفعل أو بالسخرية منها يُعَدُّ اعتداء على ذاتيَّة الأُمَّة، ويُعَدُّ اعتداء على النظام العام فيها، ومن حقِّ كلِّ أُمَّة أن تحمي مقدساتها، وأن تصون نظامها العام من العبث به بأي شكل من الأشكال، وهذا يوضِّح لنا موقف المسلمين من سلمان رشدي، فقد شعروا بأنَّه اعتدى على مقدساتهم التي يعتزون بها، وامتهن حرمة نبيهم، فكان اعتراضهم على ذلك، وهو موقف له ما يبرره.

٣ - وهكذا يتضح لنا أنَّ الأمر في قضية سلمان رشدي لا صلة له بحريَّة التعبير، بل يدور حول حريَّة التشهير والإهانة إذا أردنا أن نسمي الأشياء بأسمائها الحقيقيَّة، وهذا ما لا ترضاه أُمَّة على نفسها، ونحن المسلمين نغضب بنفس القدر إذا وُجهت إهانة لموسى أو عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أو لأي نبي من أنبياء الله، ولكن هذا لا يعني الموافقة على قتل سلمان رشدي أو حتى محاكمته؛ لأنَّه لا يعيش على أرض إسلاميَّة حتى يمكن محاكمته.

---

(١) يراجع كتاب: التفكير فريضة إسلاميَّة، للأستاذ/ عباس محمود العقاد.

٤ -لقد ساعد الإعلام الغربي ولا يزال في قضية سلمان رشدي على الخلط بين حريَّة التعبير وحريَّة التشهير والإهانة، وينبغي التفريق بينهما.

فاختيار سلمان رشدي لدائرة المقدسات الإسلاميَّة بالذات للتشهير بها يُعَدُّ إفلاسًا فكريًّا وأدبيًّا من جانبه، ويُعَدُّ من ناحية أخرى محاولة متعمدة للسخرية من المقدسات الإسلاميَّة، فالأديب المبدع أمامه أفق فسيح للإبداع، أمَّا الأديب المفلس فإنَّه يختار موضوعًا من الموضوعات الشائكة، وبخاصة إذا كانت تتصل بمعتقدات الناس؛ ليدخل من خلالها إلى دائرة الشهرة، وقد تم لسلمان رشدي بذلك ما أراد.

وقد كان الأولى بالمسلمين أن يتجاهلوه تمامًا، فلم يكن هو أول من هاجم المقدسات الإسلاميَّة، ولن يكون آخرهم، ولن يكون لكتاباته ولا لكتابات غيره أي تأثير على هذا الدين الذي صمد طوال أربعة عشر قرنًا من الزمان ولا يزال ضد كلِّ التيارات التي أرادت النيل منه.

ثالثًا: هل صحيح أنَّ الحدود في الإسلام تتسم بالقسوة والوحشيَّة؟

١ - الإسلام ليس دينًا يرغب في القسوة ويشتهي العنف، بل العكس هو الصحيح، وهو أنَّه دين يدعو إلى الرحمة والتراحم والسماحة، ولكنه في الوقت نفسه يحرص على استتباب الأمن وإقرار السِّلم في المجتمع؛ ضمانًا لحريَّة الأفراد، وصونًا لحقوقهم في أمن وأمان، وحماية لأنفسهم وعقائدهم وعقولهم وأموالهم وأسرهم، والإسلام حين يضع عقوبة لخطيئة ما يضع في اعتباره عنصرين أساسيين:

أ -الإنسان ليس معصومًا من الخطأ، بل هو معرَّض له في أي وقت، ومن هنا فتح الإسلام باب التوبة أمام المخطئين، الذين يندمون على ما فعلوا، ويريدون أن يطهروا نفوسهم.

ب -كلُّ فرد في المجتمع يهمه أن يعيش حياته آمنًا مطمئنًا على نفسه وأسرته وممتلكاته، ولا يجوز أن تتحول انحرافات بعض الأفراد إلى ظاهرة هدَّامة تعصف بأمن المجتمع وتروِّع الآمنين.

٢ - وإذا كان الإسلام قد وضع الحدود لمعاقبة المجرمين فإنَّه دعا إلى درئها بالشبهات، وإلى وقفها بالتوبة إذا رأى القاضي أن من تورط فيها قد ندم على فعله، وأنَّه تاب توبة نصوحًا، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «ادْرَءُوا الْحُدُودَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ لِمُسْلِمٍ مَخْرَجًا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّ الإِمَامَ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ بِالْعُقُوبَةِ»[1]، وهذا الحديث يدل على منتهى التسامح.

٣ - إنَّ عقوبة الزنا من الأمور التي يصعب تنفيذها؛ نظرًا لأنَّ الإسلام قد اشترط لثبوت جريمة الزنا أن يشهد على ذلك أربعة شهود، يقررون أنهم رأوا وقوعها على نحو صريح، لا شبهة فيه، وهذا أمر يكاد أن يكون في عداد المستحيلات، ومن هنا فإنَّ حادثتي الرجم اللتين وقعتا في تاريخ الإسلام كانتا بناءً على اعتراف، وليس بشهادة الشهود، وقد حاول النبي ﷺ مرارًا وعلى فترات مختلفة أن يثني كلًّا من الجانيين عن

---

(١) رواه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ الْحُدُودِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي دَرْءِ الْحُدُودِ، ٤/ ٣٣، حديث رقم (١٤٢٤)، والحاكم في المستدرك، كِتَابُ الْحُدُودِ، ٤/ ٤٢٦، حديث رقم (٨١٦٣).

هذا الاعتراف، ولكنهما أصرا على ذلك إصرارًا لم يجد معه النبي مفرًّا من تنفيذ العقوبة، التي لم تتكرر في التاريخ الإسلامي؛ لصعوبة إثبات الجريمة، ومن الواضح أنَّ النبي ﷺ أمر بتنفيذ العقوبة وهو كاره لهذا التنفيذ.

٤ - الإسلام لا يقطع يد سارق جائع؛ سرق من أجل إطعام نفسه، وإطعام أولاده، ولكنه يعاقب السارق المتبجح، الذي يسرق لا لحاجته، ولكن لسرقة كسب الآخرين وكدحهم، وإشاعة الفساد في المجتمع، ومثل هذا الجاني لا يستحق شفقة من أحد؛ لأنَّه هو نفسه لم يشفق أو يرحم مَنْ سرق منه، وقد يكون المسروق منه في أشد الحاجة إلى المال الذي سُرق منه، فمن حقِّ المجتمع أن يدافع عن حقوقه، وفضلًا عن ذلك فإنَّ تطبيق هذه العقوبة في المجتمع الإسلامي -حينما كانت مطبقة- كانت نتيجته ندرة حدوث السرقة في المجتمع، لدرجة أنَّ التاجر كان يترك بضاعته بلا حراسة، وكانت أبواب المنازل تُترك دون إحكام إغلاقها، وعلى الرغم من ذلك لم تكن تحدث السرقات، وهذا على خلاف ما هو حادث في شتى المجتمعات التي تكتفي بعقوبة مخففة؛ إذ يشجع ذلك على انتشار السرقات وتكرارها بدرجة أصبحت تشكل في بعض المجتمعات ظاهرة خطيرة[١].

٥ - شرط تطبيق عقوبة السرقة هو توفير العدل الاجتماعي، والقضاء على شبح الفقر في المجتمع، الأمر الذي لا يشعر فيه مواطن بدافع يدفعه إلى السرقة، ومن هنا أوقف الخليفة عمر بن الخطاب تنفيذ حد السرقة عام

---

(١) راجع: مائة سؤال عن الإسلام، للشيخ/ محمد الغزالي ج٢ ص ٤١ وما بعدها.

المجاعة التي شهدتها بلاد المسلمين حينذاك، وعندما كانت الحدود مطبقة على نحو عادل في الإسلام في عهده الأول كان السائر من مكة إلى الشام لا يخاف في طريقه إلا الله والذئب على غنمه، فكلُّ سارق كان يعلم سلفًا ما هي العقوبة، ومن أجل ذلك كان يفكر ألف مرة قبل ارتكاب جريمة السرقة أو غيرها من الجرائم، ومن هنا كانت ندرة تطبيق الحدود، فأيهما أفضل؟ استتباب للأمن في المجتمع، وإن أدى ذلك إلى تطبيق العقوبة على بضعة أفراد، أو امتلاء السجون بالمجرمين، وتعكير صفو الأمن في المجتمع؟ من الذي يستحق التعاطف معه: المجرم، أم المجتمع وأمنه واستقراره؟!

رابعًا: ما أسباب تفرق المسلمين رغم دعوة الإسلام للوحدة؟

١ - لا ينكر أحد أنَّ الشعوب الإسلاميَّة في عصرنا الحاضر متفرقة ومتنازعة فيما بينها، فهذا واقع ملموس، لا يحتاج إلى برهان، ولكن هذا يُعَدُّ مرحلة في تاريخ المسلمين، شأنهم في ذلك شأن بقية الشعوب والأمم الأخرى، ولا يعني ذلك أنهم سيظلون كذلك إلى الأبد، وكما استطاعت الشعوب الأوروبيَّة أن تتغلب على عوامل الفرقة والتنازع فيما بينها -التي أدت إلى حربين عالميتين شهدهما القرن العشرون- فإنَّ الشعوب الإسلاميَّة سوف تستطيع في مستقبل الأيام أن تتغلب أيضًا على عوامل الفرقة فيما بينها، والبحث عن صيغة ملائمة للتعاون المثمر؛ من أجل مصلحة المجتمعات الإسلاميَّة كلها.

وهناك محاولات مستمرة في هذا -الصدد وإن كانت بطيئة وذات تأثير محدود ومتواضع- مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، التي تضم كلَّ الدول

الإسلاميَّة، إلا أنَّه يمكن تطوير العمل في هذه المنظمة وغيرها من منظمات إسلاميَّة أخرى؛ للوصول بها إلى مرحلة متقدمة من التعاون الأوثق، وللأُمَّة الإسلاميَّة في تعاليم الإسلام في الوحدة والتعاون والتآلف والتكافل أعظم سند، يضمن لها نجاح هذه المحاولات في مستقبل الأيام.

٢ - فالإسلام في مصادره الأصلية يدعو إلى الوحدة والتضامن، ويحذِّر من الفرقة والتنازع: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ويدعو إلى الشعور بآلام الآخرين، والمشاركة في تخفيفها، ويجعل الأُمَّة كلَّها مثل الجسد الواحد كما يقول النبي ﷺ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1]، ويعتبر الإسلام رابطة العقيدة بمنزلة رابطة الأخوة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]، وحينما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، فأصبحوا إخوة متحابين متضامنين في البأساء والضراء، وآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ في ذلك أكثر من أن تحصى.

٣ - هناك أسباب خارجيَّة كثيرة أدت إلى الانقسام والفرقة بين المسلمين في العصر الحديث، وترجع هذه الأسباب -في قدر كبير منها- إلى الفترة التي هيمن فيها الاستعمار على بلاد العالم الإسلامي، وعندما رحل ترك مشكلات عديدة، كان هو سببًا فيها، مثل مشكلات الحدود، وكانت القاعدة

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ والآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، ٤/ ١٩٩٩، حديث رقم (٢٥٨٦).

التي على أساسها خطط لسياساته هي مبدأ: فَرِّقْ تَسُدْ، ومن هنا عمل على إحياء العصبيَّات العرقيَّة بين شعوب البلاد المستعمرة، وقام بنهب خيرات هذه البلاد، وأدى ذلك إلى إفقارها وتخلفها الحضاري، الذي لا تزال آثاره باقية حتى اليوم، ولا تزال معظم شعوب العالم الإسلامي تعاني من المشكلات التي خلَّفها الاستعمار.

٤ - انشغل المسلمون بالمشكلات الكثيرة التي خلَّفها الاستعمار، وغفلوا عن تعاليم الإسلام في الوحدة والتضامن.

ولكن الشعوب الإسلاميَّة لا تزال تحن إلى وحدة جهودها، وتضامنها فيما بينها، وتجميع قواها في سبيل الخير لهذه الشعوب جميعها، ولا يزال المسلم في أي بلد إسلامي يشعر بآلام المسلمين في مناطق العالم المختلفة بوصفه جزءًا من الأُمَّة الإسلاميَّة، وهذا من شأنه أن يعمل على توفير أساس راسخ لمحاولات إعادة التضامن والوحدة بين أقطار العالم الإسلامي، بمعنى توحيد الجهود والتكامل فيما بينها في ميادين الثقافة والاقتصاد والسياسة والأمن، وتبادل الخبرات والمنافع، وكلُّ ما يعود على المسلمين بالخير، مما يجعلهم أقدر على القيام بدور فعَّال في ترسيخ قواعد السلام والأمن في العالم كلِّه.

خامسًا: هل الإسلام مسئول عن تخلف المسلمين؟

١ - حقائق التاريخ تبيِّن بما لا يدع مجالًا للشك أنَّ الإسلام قد استطاع بعد فترة زمنيَّة قصيرة من ظهوره أن يقيم حضارة رائعة كانت من أطول الحضارات عمرًا في التاريخ، ولا تزال الشواهد على ذلك ماثلة للعيان

فيما خلَّفه المسلمون من علم غزير في شتى مجالات العلوم والفنون، وتضم مكتبات العالم آلافًا مؤلفة من المخطوطات العربيَّة الإسلاميَّة، تبرهن على مدى ما وصل إليه المسلمون من حضارة عريقة، يضاف إلى ذلك الآثار الإسلاميَّة المنتشرة في كلِّ العالم الإسلامي، والتي تشهد على عظمة ما وصلت إليه الفنون الإسلاميَّة.

وحضارة المسلمين في الأندلس وما تبقى من معالمها حتى يومنا هذا شاهد على ذلك في أوروبا نفسها، وقد قامت أوروبا بحركة ترجمة نشطة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر لعلوم المسلمين، وكان ذلك هو الأساس الذي بنت عليه أوروبا حضارتها الحديثة.

٢ - يشتمل القرآن الكريم على تقدير كبير للعلم والعلماء، وحثٍّ على النظر في الكون ودراسته وعمارة الأرض، والآيات الخمس الأولى التي نزلت من الوحي الإلهي تنبِّه إلى أهميَّة العلم والقراءة والتأمل، وهذا أمر كانت له دلالة مهمة انتبه إليها المسلمون منذ البداية، وهكذا فإن انفتاح الإسلام على التطور الحضاري بمفهومه الشامل للناحيتين الماديَّة والمعنويَّة لا يحتاج إلى دليل.

٣ - أمَّا تخلف المسلمين اليوم فإنَّ الإسلام لا يتحمل وزره؛ لأنَّ الإسلام ضد كلِّ أشكال التخلف، وعندما تخلف المسلمون عن إدراك المعاني الحقيقيَّة للإسلام تخلفوا في ميدان الحياة، ويعبر مالك بن نبي -المفكر الجزائري الراحل- عن ذلك تعبيرًا صادقًا حين يقول: «إنَّ التخلف الذي يعاني منه المسلمون اليوم ليس سببه الإسلام، وإنما هو عقوبة مستحقة من

الإسلام على المسلمين؛ لتخليهم، عنه لا لتمسكهم به، كما يظن بعض الجاهلين، فليس هناك صلة بين الإسلام وتخلف المسلمين»[١].

٤- لا يزال الإسلام وسيظل منفتحًا على كلِّ تطور حضاري، يشتمل على خير الإنسان، وعندما يفتش المسلمون عن الأسباب الحقيقيَّة لتخلفهم فلن يجدوا الإسلام من بين هذه الأسباب؛ فهناك أسباب خارجيَّة، ترجع في جانب كبير منها إلى مخلفات عهود الاستعمار، التي أعاقت البلاد الإسلاميَّة عن الحركة الإيجابيَّة، وهذا بدوره بالإضافة إلى بعض الأسباب الداخليَّة أدى أيضًا إلى نسيان المسلمين للعناصر الإيجابيَّة والقيم الدافعة لحركة الحياة في الإسلام.

٥- لا يجوز الخلط بين الإسلام والواقع المتدني للعالم الإسلامي المعاصر، فالتخلف الذي يعاني منه المسلمون اليوم يُعَدُّ مرحلة في تاريخهم، ولا يعني ذلك بأي حال من الأحوال أنهم سيظلون كذلك إلى نهاية التاريخ، ولا يجوز اتهام الإسلام بأنَّه وراء هذا التخلف، كما لا يجوز اتهام المسيحيَّة بأنها وراء تخلف دول أمريكا اللاتينيَّة.

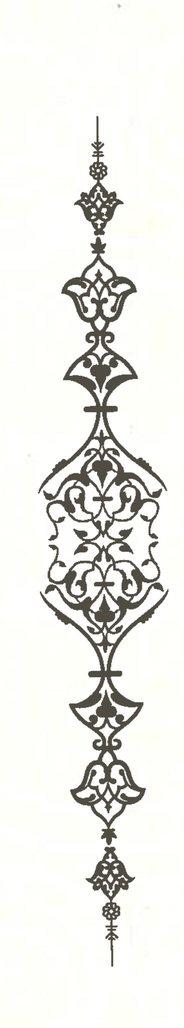
إنَّ الأمانة العلميَّة تقتضي أن يكون الحكم على موقف الإسلام من الحضارة مبنيًّا على دراسة موضوعيَّة منصفة لأصول الإسلام، وليس على أساس شائعات واتهامات وأحكام مسبقة، لا صلة لها بالحقيقة.



(١) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي لمالك بن نبي، ص: ٧٦، القاهرة: ١٩٧١.



الفصل السابع
تساؤلات
حول بعض تعاليم الإسلام



تساؤلات حول بعض تعاليم الإسلام

أولا: هل صحيح أنَّ الصوم يقلل حركة الإنتاج؟

١ - الصوم من العبادات التي لم ينفرد بها الإسلام، فقد أخبر القرآن الكريم أنَّ الصوم كان مفروضًا أيضًا على الأمم السابقة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٣]، ولا تزال هناك ديانات أخرى حتى يومنا هذا تعرف شعيرة الصوم، ولكن هناك فرق واضح بين الصوم في الإسلام والصوم في غيره من الديانات، ويتمثل هذا الفرق في أنَّ الصوم في الإسلام يأتي في شهر معين من العام طبقًا للتقويم الهجري، ويبدأ صيام كلِّ يوم بالامتناع التام عن الطعام والشراب وعن كلِّ الشهوات من طلوع الفجر حتى غروب الشمس، وهذا يعني أنَّ المسلم يقضي نهار يومه كلِّه -وهو وقت العمل المعتاد- وهو صائم على النحو المشار إليه؛ ولعل هذا هو السبب الذي من أجله يتوهم البعض أنَّ الصوم الإسلامي بهذه الطريقة يقلل حركة الإنتاج لدى الفرد والمجتمع.

٢ - والصوم في حقيقة الأمر بريء من هذه التهمة، فالصوم يفترض فيه أنَّه يعمل على تصفية النفوس والتسامي بالأرواح، وهذا من شأنه أن يمد الفرد بطاقة روحيَّة، تجعله أقدر على الإنتاج والعمل أكثر مما لو لم يكن صائمًا،

وهذه الطاقة الروحيَّة قوة لا يستهان بها، وقد حارب المسلمون في غزوة بدر أيام الرسول وهم صائمون، وانتصروا، وحارب الجنود المصريون عام ١٩٧٣م وهم صائمون، حيث كان ذلك في شهر رمضان، وانتصروا، ولم يقلل الصوم من نشاطهم، بل كان العكس هو الصحيح تمامًا.

٣ - ما نراه في بعض البلاد الإسلاميَّة من قلة الإنتاج في شهر الصوم يرجع إلى أسباب أخرى غير الصوم، فمن عادة الكثيرين أن يظلوا متيقظين في شهر الصوم معظم الليل، ولا يأخذون قسطًا كافيًا من النوم، فنجدهم -نظرًا لذلك- متعبين أثناء النهار، ومن هنا يقل إنتاجهم، ويقبلون على أعمالهم ببطء وفي تثاقل، ويعتذرون عن ذلك بأنهم صائمون، وقد يكون اعتذارهم هذا في أول النهار، فلو كان للصوم أي تأثير على النشاط -كما يزعمون- فإنَّ ذلك لا يكون في أول النهار، بل يكون في فترة متأخرة منه.

٤- لقد ثبت أنَّ للصوم فوائد كثيرة: صحيَّة، وروحيَّة، واجتماعيَّة، وتربويَّة. فالمفروض أنَّه فرصة سنويَّة للمراجعة والتأمل والتقييم والنقد الذاتي على المستويين الفردي والاجتماعي، بهدف القضاء على السلبيَّات، والتخلص من الكثير من الأمراض الاجتماعيَّة، وهذا من شأنه أن يدفع حركة المجتمع بخطى أسرع، وبإخلاص أكثر، وبوعي أفضل.

ثانيًا: هل صحيح أنَّ الزكاة تتيح للغني فرصة عند الله أفضل من فرصة الفقير؟

١ - تُعَدُّ الزكاة في الإسلام أول ضريبة نظاميَّة في تاريخ الاقتصاد في العالم، فالذي كان يحدث قبل ذلك هو أنَّ الحكام كانوا يفرضون الضرائب حسب

أهوائهم، وبقدر حاجتهم إلى الأموال؛ تحقيقًا لأغراضهم الشخصيَّة، وكان عبء هذه الضرائب يقع على كاهل الفقراء وحدهم، ولما جاء الإسلام وفرض الزكاة، قام بتنظيم جمعها، وحدد لها نسبة معينة، وجعلها تقع على عاتق الأغنياء والمتوسطين، وأعفى منها الفقراء.

وتشريع الزكاة ليس فقط نظامًا ماليًّا، وإنما هو في الوقت نفسه عبادة، كالصلاة والصيام والحج، يؤديها المسلم القادر على دفعها، ليس خوفًا من السلطة التنفيذيَّة، ولكن تقربًا إلى الله، واستجابة لتعاليم دينه.

٢ - شعر الفقراء في زمن الرسول ﷺ بعجزهم عن أداء الزكاة مثل الأغنياء، ورأوا أنَّ هذا من شأنه أن يعطي للأغنياء ميزة الحصول على الثواب من الله بأدائهم للزكاة، وحرمان الفقراء من هذا الثواب مع أنَّه لا ذنب لهم في فقرهم، وقام الفقراء بعرض ما يشعرون به على النبي ﷺ، فأوصاهم بالتسبيح والتحميد والتكبير (أي بقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر) ثلاثًا وثلاثين مرة عقب كلِّ صلاة، وبيَّن لهم أنَّ هذا من شأنه أن يرفع من درجاتهم عند الله، ويجعل منزلتهم عنده لا تقل عن منزلة الأغنياء الذين يؤدون الزكاة[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الزَّكَاةِ، باب كل معروف صدقة، ٢/ ٦٩٧، حديث رقم (١٠٠٦)، ونصُّه: «عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ».

٣- المعيار الذي اعتمده القرآن في المفاضلة بين الناس بصفة عامة هو معيار التقوى والعمل الصالح، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، والتقوى مفهوم عام، يشمل كلَّ عمل يقوم به الإنسان -أيًّا كان هذا العمل دينيًا أو دنيويًّا- طالما قصد به وجه الله ونفْع الناس ودفْع الأذى عنهم. فالقرب من الله لا يتوقف على أداء الزكاة أو غيرها من الشعائر الإسلاميَّة فحسب، بل يتوقف أيضًا على التوجه العام من جانب الإنسان في كلِّ ما يقوم به في حياته من أعمال، وما يصدر عنه من سلوك، وما يخرج من فمه من أقوال، والإسلام يعلِّق أهميَّة كبيرة على النية، فالأعمال بالنيَّات كما يقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[1]، وهذا يعني أنَّ الفقير الذي لا يستطيع إخراج الزكاة ويتمنى أن لو كان لديه مال ليزكي به فإنَّه يثاب على هذه النية، ما دامت صادقة، وقد يُخرج الغني الزكاة، ويقصد من وراء ذلك التظاهر أمام الناس، والحصول على مكانة بينهم، فلا يثاب على ذلك بشيء.

ثالثًا: لماذا حرَّم الإسلام أكل لحم الخنزير؟

١ - لم يكن الإسلام أول الأديان التي حرمت أكل لحم الخنزير، فالديانة اليهوديَّة تحرِّم أكل لحم الخنزير، ولا يوجد حتى الآن يهودي في أوروبا وأمريكا يأكل لحم الخنزير إلا فيما ندر، ولم يعب أحد على اليهود ذلك، بل يحترم الغرب العادات الدينيَّة لليهود، وعندما جاء السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ صرح -كما جاء في الإنجيل- بأنَّه لم يأت

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟، ١/ ٦، حديث رقم(١).

لينقض الناموس بل ليكمله، أي أنَّه لم يأت ليغير التشريعات اليهوديَّة، ومن بينها بطبيعة الحال تحريم أكل لحم الخنزير، والأمر المنطقي بناء على ذلك أن يكون الخنزير محرمًا في المسيحيَّة أيضًا.

٢- عندما جاء الإسلام حرَّم أيضًا أكل لحم الخنزير، وهذا التحريم امتداد لتحريمه في الديانات السماويَّة السابقة، وقد نصَّ القرآن الكريم عليه صراحة في أربعة مواضع، وهناك من ناحية أخرى -بجانب هذا التحريم الديني- أسباب ومبررات أخرى، تؤكِّد هذا التحريم، ومن ذلك ما أثبته العلماء المسلمون من أنَّ أكل لحم الخنزير ضارٌّ بالصحة، ولا سيما في المناطق الحارة، وفضلًا عن ذلك فإنَّ الآيات القرآنيَّة التي ورد فيها تحريم لحم الخنزير قد جمعت هذا التحريم مع تحريم أكل الميتة والدم، وضرر أكل الميتة والدم محقَّق؛ لما يتجمع فيهما من ميكروبات ومواد ضارة، مما يدل على أنَّ الضرر ينسحب أيضًا على أكل لحم الخنزير.

وإذا كانت الوسائل الحديثة قد تغلبت على ما في لحم الخنزير ودمه وأمعائه من ديدان شديدة الخطورة -الدودة الشريطيَّة وبويضاتها المتكلسة- فمَن الذي يضمن لنا بأنَّه ليست هناك آفات أخرى في لحم الخنزير لم يُكشف عنها بعد؟ فقد احتاج الإنسان قرونًا طويلة ليكشف لنا عن آفة واحدة، والله الذي خلق الإنسان أدرى به، ويعلم ما يضره وما ينفعه، ويؤكِّد لنا القرآن هذه الحقيقة في قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦].

٣- يحسب الإسلام حساب الضرورات، فيبيح فيها المحرمات، وفي ذلك قاعدة مشهورة تقول: « الضَّرُورَاتُ تُبِيحُ الْمَحْظُورَاتِ»[(١)]، ومن هنا فإنَّ المسلم إذا ألجأته الضرورة الملحة -التي يخشى منها على حياته- لتناول الأطعمة المحرمة ومنها الخنزير فلا حرج عليه، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٧٣]. ولكن هذه الإباحة لا يجوز أن تتعدى حدود تلك الضرورة، وإلا كان المسلم آثمًا.

رابعًا: لماذا حرَّم الإسلام الحرير والذهب على الرجال؟

١ - يعتمد القول بتحريم لبس الحرير والتختم بالذهب للرجال في الإسلام على العديد من المرويَّات عن النبي ﷺ -كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء- وتتلخص وجهة نظرهم في أنَّ من طبيعة الرجل الصلابة والقوة، والإسلام يريد أن يتربى الرجال بعيدًا عن مظاهر الضعف، وبعيدًا عن مظاهر الترف، الذي يحاربه الإسلام، ويَعُدُّه مظهرًا من مظاهر الظلم الاجتماعي؛ وذلك حتى يكون الرجل قادرًا على الكفاح والانتصار في معارك الحياة وميادين القتال أيضًا إذا اقتضى الأمر، ولمَّا كان التزين بالذهب وارتداء الحرير يُعَدَّان من مظاهر الترف فقد حرَّمهما الإسلام على الرجال، ولكنه أباحهما للمرأة؛ مراعاة لمقتضى أنوثتها، وما فُطرت عليه من حبِّ الزينة.

٢ - وعلى الرغم من هذا التحريم فإنَّه إذا كانت هناك ضرورة صحية

---

(١) الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، دار الكتب العلميَّة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ١/ ٤٩.

تقضي بلبس الرجل للحرير فإنَّ الإسلام يبيح له ذلك، ولا يمنعه، فقد أذن النبي ﷺ لكلٍّ من عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في لبس الحرير؛ لأنَّهما كانا يشكوان من حكة في جسمهما[1].

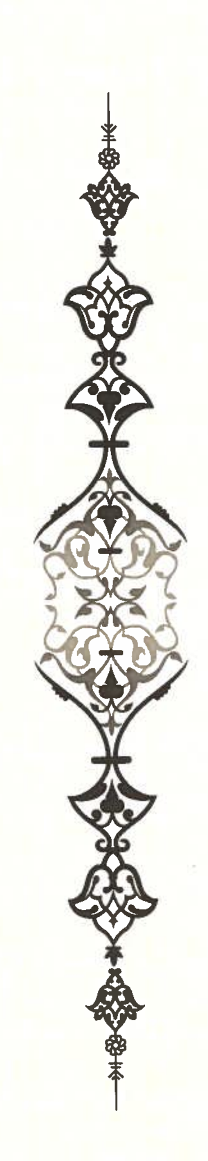
٣-وقد ذهب الإمام الشوكاني (توفي حوالي عام١٨٤٠م) في كتابه الشهير «نيل الأوطار» إلى القول بأنَّ أحاديث النبي ﷺ في النهي عن لبس الحرير تدل على الكراهية فقط، وليس على التحريم، والكراهية هنا درجة أخف من التحريم، ويقوي الشوكاني رأيه هذا بأنَّ هناك ما لا يقل عن عشرين صحابيًّا، منهم أنس والبراء بن عازب قد لبسوا الحرير، ومن غير المعقول أن يُقْدِم هؤلاء الصحابة على ما هو محرم، كما يبعد أيضًا أن يسكت عنهم سائر الصحابة وهم يعلمون تحريمه[2].

٤- أما التختم بالذهب -أي اتخاذه كخاتم ونحوه- للرجال فقد ذهب جمهور العلماء إلى تحريمه أيضًا؛ اعتمادًا على بعض الأحاديث النبوية، ولكن هناك جماعة من العلماء ذهبوا إلى القول بكراهة التختم بالذهب للرجال كراهة تنزيه فقط، وكراهة التنزيه بعيدة عن التحريم وقريبة من الإباحة أو الجواز، واعتمدوا في ذلك أيضًا على أن هناك عددًا من الصحابة قد تختموا بالذهب، منهم: سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وصهيب، وحذيفة، وجابر بن سمرة، والبراء بن عازب، الذين فهموا أنَّ النهي للتنزيه، وليس للتحريم.

---

(١) راجع: نيل الأوطار للشوكاني٢/ ٨١ -دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

(٢) نيل الأوطار ج٢ ص٧٣ وما بعدها.



قائمة المصادر

- الأدب المفرد=صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة:٣ سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- الإسلام عقيدة وشريعة، للشيخ/ محمود شلتوت، دار الشروق، الطبعة الحادية والعشرون، ٢٠١٥م.

- الإسلام في مرآة الفكر الغربي، أ.د/ محمود حمدي زقزوق، دار الفكر العربيّ ١٩٩٤م.

- الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاري، أ.د/ محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، ١٩٩٧م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض -عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

- الله ليس كذلك، د/ زيجريد هونكه، دار الشروق، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦م.

- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت.

-تجديد التفكير الديني في الإسلام، لمحمد إقبال، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٩٥٥م.

- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للأستاذ/ محمود عباس العقاد، القاهرة، ١٩٥٧م.

- الدعوة إلى الإسلام، السير/ توماس أرنولد (١٨٦٤ -١٩٣٠) (Sir Thomas W.Arnold)، ترجمة حسن إبراهيم وآخرين، مكتبة النهضة المصريَّة.

- السِّرُّ في انتشار الإسلام، السِّلسلة العلميَّة، مجمع البحوث الإسلاميَّة، طبع بالهيئة العامَّة لشئون المطابع الأميريَّة.

- سنن ابن ماجه، لأبن ماجه -وماجه اسم أبيه يزيد -أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد-محمَّد كامل قره بللي-عَبد اللّطيف حرز الله،الناشر: دارالرسالة العالمية،الطبعة:الأولى،١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

- سُنَن أَبِي دَاوُد، تصنيف-الإِمَام الحَافِظ أَبِي دَاود سُليمان بْنِ الأشعثِ الأَزْدِي السِّجِسْتَانِيِّ،(٢٠٢هـ-٢٧٥هـ) حقّقهُ وَضبطَ نَصَّهُ وَخرَّجَ أَحَاديثهُ وَعَلَّقَ عَليه: شعَيب الأرنؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي، الجزء الأول، دار الرسالة العالمية.

- السنن الكبير، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث والدراسات، الناشر: دار هجر - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

- سنن الترمذي= الجامع الكبير، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى ابن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

- شمس الله تشرق على الغرب = فضل العرب على أوروبا، د. زيجريد هونكه، ترجمه وحققه وعلق عليه: أ.د/ فؤاد حسنين علي، دار العلم العربي، الطبعة: الثانية، ١٤٣٢هـ.

- صحيح البخاري=الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دار الشعب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧/ ١٩٨٧م.

- صحيح مسلم، «للإمام أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري»، لعبد العظيم بن عبد القوي ابن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م.

- فصل المقال لابن رشد (ضمن كتاب: فلسفة ابن رشد)، بيروت، ١٩٨٢م.

- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار المعارف، ١٩٧٨م.

- مائة سؤال عن الإسلام، للشيخ/ محمد الغزالي، دار ثابت، ١٩٨٣م.

- مدخل إلى القرآن الكريم، للدكتور/ محمد عبد الله دراز، دار القلم - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م.

- المستشرقون، لنجيب العقيقي (المتوفى: ١٤٠٢ هـ)، دار المعارف القاهرة-مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.

- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلميَّة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

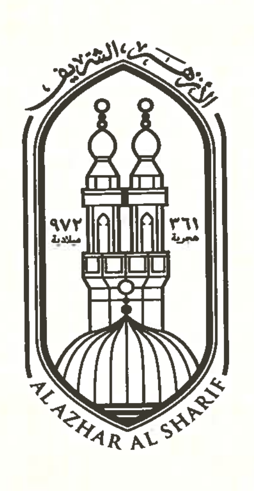
- مسند الإمام أحمد = مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، لمالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، إشراف وتقديم: المحامي/ عمر مسقاوي، الناشر: دار الفكر المعاصر-بيروت لبنان، دار الفكر-دمشق سورية، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.



محتويات الكتاب





الأزهر الشريف

هيئة كبار العلماء

